إنقاذ الناس

من

الوسواس

عبد البديع عبد السميع كفافي





١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/١٨٦٨٧

الترقيم الدولي: ٩٧٧/٥٦٢٧/٠٦/٠

دار الفتح للإعلام العربي

العنوان/ المكتبة : ٣٢ش الفلكي – باب اللوق تليفون : ٧٩٥١٠٧٣/ الإدارة : ٢٢ شارع خيرت بالسيدة زينب

ت/ف : ٧٩٥٢٣٢١ فاكس: ٢٦٠٦٦٧٥

جميع المراسلات باسم / محمد السيد سابق

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وخاتم النبيين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، والمبعوث رحمة للعالمين، سيدنا «محمد» النبي العربي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد...

أخي المسلم!! أختي المسلمة...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إذا استعرض المسلم نعم الله ﷻ عليه وهي أكثر من أن تُحصى، وأجلّ من أن تعد، فإنه يجد أن أرقى هذه النعم وأسماها هي نعمة الإسلام، فلا توجد نعمة تعلوها، أو تسمو فوقها، هي أجل النعم بالقطع واليقين.

هي طموح الأنبياء، وبغية المرسلين، وهدف الأولياء ومحطة المتقين، نقرأ هذا كله في الآيات ﴿١٢٧ إلى ١٣٣﴾ من سورة البقرة.

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة:١٢٧-١٣٣].

ولقد بقي الإسلام دعوة النبيين والمرسلين من عهد «آدم» عليه السلام حتى أشرف الخلق سيدنا «محمد» ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم الذي نوَّه الله بذكره ورفع قدره، وجعل مقامه فوق كل مقام، وفضَّله على سائر النبيين والمرسلين، وحشد أرواحهم في حضرته ﷺ وأخذ عليهم الميثاق والعهد إن أدركوه أن يصدقوه، وأن يؤمنوا به وأن ينصروه كما حدثنا بذلك في القرآن الكريم في الآية ﴿٨١﴾ من سورة آل عمران فقال وهو أصدق القائلين:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران:٨١].

وإننا نعرف قدر هذه النعمة العظمى، والمنحة الكبرى في الآية رقم ﴿٣﴾ من سورة المائدة:

﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة:٣].

ويعمق شعورنا بسمو هذه النعمة العظمى تذكرنا اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية وهو يوم «عرفة» حيث كان سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم يحج حجة الوداع ويعلن للناس أجمعين تمام هذا الدين الحنيف، وكمال عقيدته وشريعته، ويعلن لهم حصاد جهاده ونضاله في مسيرته المقدسة لإبلاغ دعوته وتبيين رسالته، فكانت

هذه الآية درّة تتلألأ على جبينه في تاج رسالته التي أسهرته ليله، وأتعبت نهاره حتى أتاه اليقين.

ويعمق شعورنا بفضل نعمة الإسلام، ما حدَّث به اليهود سيدنا «عمر بن الخطاب»-ﷺ- فقالوا له:«يا أمير المؤمنين إن هناك آية في القرآن لو أنها نزلت علينا لاتخذنا من يوم نزولها عيداً لنا» فقال لهم:«وما هذه الآية؟» قالوا:«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» قال لهم أمير المؤمنين «عمر» -ﷺ-:«والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه على رسول الله ﷺ والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ عشية يوم عرفة في يوم جمعة وكلاهما بحمد الله يوم عيد» رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

والإسلام واضح جليّ، حدد معانيه سيدنا رسول الله ﷺ بمجموعة من التعاريف الجامعة المانعة النافية لكل جهالة، ولا تحتمل التأويل أو التفسير، وهي من جوامع الكلم التي أوتيها ولم يؤتها نبي قبله ولا يستطيعها أحد بعده في حديث «جبريل»عليه السلام الذي رواه أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب»-ﷺ- وتضئ مدونات الحديث الشريف والسنن من موطأ الإمام مالك وصحيح البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وغيرهم. واكتفى بذكر تعريف الإسلام عندما سأله سيدنا «جبريل» عن الإسلام فقال ﷺ:

«الإسلام: أن تشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وأن تصوم رمضان، وأن تحج البيت إذا استطعت إلى ذلك سبيلا»

ولنا عودة لهذا الحديث إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب.

أخي المسلم... أختي المسلمة...

عرفنا جلال هذه النعمة العظمى نعمة الإسلام، وعرفنا عظمتها وأيقنا أنها كنز السعادة في الدنيا والآخرة، وأننا إذا حُزناها في صدورنا، وصدرناها أعمالاً صالحة على

جوارحنا وسلوكاً حسناً في أخلاقنا، فإنها تسرنا ولا نحزن بعدها أبداً، حتى لو لم نحصل على شئ مطلقاً من زينة الحياة الدنيا!!!

إذن فما هي الواجبات التي تمليها أحكام الله علينا للمحافظة على هذه النعمة؟

إن مَن تُتَح له ثروة من ثروات الدنيا يجد نفسه مدفوعاً تلقائياً إلى المحافظة عليها بتنميتها، وحراستها، وسلوك جميع السبل التي تكفل إنماءها، والدفاع عنها، وحمايتها من أي طارئ يهددها، ومن أي عدوان يصدر عن شخص يحاول سلبها منه أو الاستيلاء عليها.

هذا في ثروة الدنيا الزائلة ونعمها الحائلة وهي أدنى من نعمة الدين.. دين الإسلام.

إن الحائز لنعمة الدنيا ينظر لكل شخص يحسده عليها، أو يحاول اغتصابها منه على أنه عدو فرضت عليه عداوته وحل له قتاله وقتله.

فماذا يجب أن يكون موقفه من نعمة الإسلام؟

إننا وقد مَنَّ الله علينا بنعمة الإسلام أجل النعم وأسماها عند رب العالمين، يتعين علينا أن نحتفظ بها، وأن نعض عليها بالنواجذ، وأن ندفع عنها كل من يريد أن يصرفنا عنها أو يصرفها عنا. وأن ننظر إليه على أنه عدو لنا يريد لنا الهلاك، والخسارة في الدنيا والآخرة.

من هو العدو الذي يتربص بنا، ويحسدنا على هذه النعمة العظمى؟

إن الله ﷻ عندما أعطانا هذه النعمة عرفنا في الحال العدو الذي يريد سلبها منا أو إفسادها علينا فقال في الآية ﴿٦﴾ من سورة فاطر:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦].

وقدم لنا ﷻ الأدلة على ذلك من واقع مسيرة الإنسان فقال لأبينا «آدم»:

﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾ [طه:١١٧].

وذكر سلاح الشيطان الذي يستعمله في معركته ضد المسلم:

فذكر أن هذا السلاح هو الوسوسة وذلك في الآية ﴿١٢٠﴾ من سورة طه فقال: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ [طه:١٢٠]. فكانت نتيجة الوسوسة﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[طه:١٢١].

ثم قدم لنا رب العزة ﷻ نموذجاً حياً فيه كل العظة والعبرة في الآيتين رقمي ﴿١٦-١٧﴾ من سورة الحشر فقال:

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحشر:١٦-١٧].

ولقد صرح القرآن الكريم بأن العلاقة بين «آدم» وذريته من جهة وبين الشيطان إبليس وجنوده من جهة أخرى هي علاقة عداء مستحكم، عداء دائم سرمدي لا ينتهي في الدنيا أبداً... فقال في الآية ﴿٣٦﴾ من سورة البقرة:

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [البقرة:٣٦].

بصرنا الله ﷻ بعدونا وهو الشيطان، وبصرنا بسلاحه الذي يحاربنا به وهو الوسوسة، ولقد عانيت شخصياً من وسوسة الشيطان في العبادة، وخاصة في الوضوء والصلاة.

ولاحظت أن الشيطان قد أعمل سلاحه «الوسوسة» في صدور أخوة لي وأخوات واستعنت بالله ﷻ فنصرني عليه، وودت من صميم قلبي أن يتحقق هذا النصر لكل مسلم ومسلمة على الشيطان، بدحض وسوسته وشقاء المسلمين منه، فهرعت إلى

كتاب الله، وسنة سيدنا رسول الله ﷺ، وخفقات قلبي تردد كلمات الحق في آية سورة الإسراء رقم ﴿٨٢﴾ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء:٨٢].

ولساني يلهج بهذه الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ.

«اللهم صلِّ على سيدنا محمد طب القلوب ودوائها وعافية الأبدان وشفائها ونور الأبصار وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلم».

وكانت هذه السطور التي يضمها هذا الكتاب بين دفتيه، وأدعو الله ﷻ أن يوفقني إلى ما فيه الشفاء لكل من يعاني من مرض الوسوسة، وأن يشرح بهذه الكلمات صدور إخواني وأخواتي المسلمين والمسلمات.

اللهم آمين وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي العربي الشريف القرشي وعلى آله وأصحابه أجمعين.

مدينة الزهراء- مصر القديمة

٧شارع حسن فريد

☎: ٣١٦٣١٩١

عبد البديع عبد السميع كفافي

الإهداء.......

أهدي هذا البحث إلى زوجتي...

فقد أحسنت عشرتي، وآنست وحشتي، وجاهدت معي في مسيرتي، فكثرت بها من قلة، وقويت بها من ضعف، وشقت بنور إيمانها ظلام اليأس في قلبي، وأعانتني على طاعة الله، وعاملتني طول حياتها معاملة الأم الرءوم لابنها طالب العلم، فأشعلت بوجدانها شعلة الإلهام في وجداني.

اللهم اجزها عني وعن أولادي وعن أهلي وعشيرتي خير الجزاء وأوفاه، واجعل أولادنا قرة عين لها واجمع لها سعادة الدارين.

آمين وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي العربي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد

الوسوسة عمل الشيطان، يريد بها تفكيك قواعد الإيمان في قلب المسلم، ليسهل عليه غرس شجرة اليأس فيه فتؤتي على عجل ثمرتها المرة وهي الكفر..، وعند ذلك يفرح الشيطان لأنه يكون قد حصل على صاحب يصحبه إلى النار وبئس المصير..

ولما تكشف لي ذلك عزمت متوكلاً على الله ﷻ -وهو حسبي ونعم الوكيل- أن أتعقب محاولات هذا الشيطان الرجيم التي يركن إليها في تحقيق حلمه الخبيث هذا، وأن أسرد هذه المحاولات بين دفتي هذا الكتاب، وابدأ بمطاردته وهو يحاول إحراق أعواد الإيمان، ثم وهو يحاول إفساد غسل المؤمن ووضوئه، ثم وهو يحاول إفساد صلاته وهو يزين له المعاصي، ثم وهو يسعى بين صفوف المسلمين بالنميمة ليحدث ما كرس حياته لإحداثه وهو الفتنة التي تحلق الدين.

وقد خصصت لكل موضوع من هذه الموضوعات فصلاً على حدة.

اللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون، اللهم وفقني وأعني واشرح صدري، واجعل نورك فيما أقول وفيما أكتب، وانفعني وانفع جميع الناس بما تلهمني في هذا الكتاب من كلمات الحق، سبحانك ربنا لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.



الفصل الأول

وسوسة الشيطان
من
ناحية الإيمان

الفصل الأول
وسوسة الشيطان من ناحية الإيمان

هذه الوسوسة عني بتوصيفها سيدنا رسول الله ﷺ فقال:

١) عن أبي «هريرة»-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ:«يأتي الشيطان أحدكم فيقول:من خلق كذا حتى يقول من خلق الله؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته» رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وفي رواية لمسلم:فليقل:«آمنت بالله ورسوله»

وفي رواية لأبي داود والنسائي:فقولوا:«الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد»، ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً وليستعذ بالله من الشيطان.

٢) حديث «أنس بن مالك» قال رسول الله ﷺ:«لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا هذا الله خلق كل شيء، فمن خلق الله» أخرجه البخاري:«كتاب الاعتصام» باب «ما يُكره من كثرة السؤال» جاء الحديثان في كتاب«اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» للأستاذ «محمد فؤاد عبد الباقي» (١) ص ٢٦.

وقد وقع ذلك لبعض الصحابة فشكي منه، وسجلته كتب الحديث...

روى «أبو داود» عن «أبي زميل سماك بن الوليد»-رضي الله عنه- قال:سألت «ابن عباس» فقلت:«ما شيء أجده في صدري؟» قال:«ما هو؟» قلت:«والله لا أتكلم به»، قال:«فقال لي:أشيء من شك؟» قال «وضحك» قال:«ما نجا من ذلك أحد» قال حتى أنزل الله ﷻ: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس:٩٤].

قال:«فقال لي:«إذا وجدت في نفسك شيئاً فقل: هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم».

أنت ترى أيها القارئ الكريم أن سيدنا رسول الله ﷺ يراقب نفس من تجري في خاطره هذه الأسئلة...

فقد روى الإمام «أحمد»-رحمه الله- بإسناد جيد عن أم المؤمنين «عائشة»-رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال:«إن أحدكم يأتيه الشيطان فيقول:من خلقك؟ فيقول: الله. فيقول:من خلق الله؟ فإذا وجد ذلك أحدكم، فليقل: آمنت بالله ورسوله فإن ذلك يذهب عنه».

إنها حالة نفسية يعاني منها بعض الناس، والشيطان صاحب أكبر قسط من المساهمة في إحداثها، ونفس الإنسان بسهم بسيط، فإن نفس الإنسان لها دور لا يغفل في هذا المقام..، لأنها أحياناً توسوس للإنسان أيضاً.

قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق:١٦].

وبمجرد أن تحدث في نفس الإنسان هذه الحفرة المظلمة بريب الشك والوهم، يسكنها الشيطان، ويرسل من داخلها وسوسته بكثافة وحدة محاولاً إحراق زهور الإيمان في قلب المسلم حتى يتيسر له تجنيده لتحقيق ما له من أهداف خسيسة جماعها الفساد في الأرض والتي باح بها بين يدي الله يوم رجمه الله وطرده من الجنة كما جاءت الآية: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء:٦٢].

ماذا يعني الشيطان باحتناكه لبني الإنسان؟

لقد أوضح ذلك فيما انطوت عليه هذه الآيات...

١) ﴿ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾

[النساء:١١٨-١٢٠].

٢) ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٢-١٧].

٣) وكان أول تنفيذ لبرنامجه التخريبي مع أبينا «آدم» وأمنا «حواء» وهما أصل الإنسان ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأعراف:١٩-٢٤].

فأنت ترى الحسد يضطرم ناراً ذات ألسنة، يحرق لظاها كل مخلوق لولا عناية الله التي تطفئها عن عباد الله الصالحين.

هي الحرب على كل إنسان يعلنها الشيطان لعنة الله عليه ولعنة الملائكة عليه ولعنة الناس عليه ولعنة الخلق أجمعين.

ومن العجيب العاجب أن ميدان هذه الحرب هو داخل قلبه وعقله وطاقته.

فالقلب هو قلعة الإيمان، فإذا استطاع الشيطان أن يحفر حفرة الشك في هذا القلب فإنه في الحال سيسكن فيها، ويسرع في إرسال الوسوسة ليستقبلها القلب، فإذا كان الإيمان قوياً فإن أشعته تمنع تأثير وساوس الشيطان فيخنس ويخيب مسعاه، وإذا كان الإيمان ضعيفاً، نالت الوسوسة منه بقدر ضعفه، والمعصوم مَنْ عصمه الله ﷻ.

وأما عقل الإنسان فهو وعاء فكره فإذا كان هذا العقل نظيفاً شع منه نور الهدى واستطاع أن يرى الحق حقاً فيتبعه، وأن يرى الباطل باطلاً فيجتنبه، وعندما يحفر الشيطان حفرة في هذا العقل يختبئ فيها ويرسل وسوسته خيوطاً سوداء مظلمة فيضل الإنسان، ويعميه ويعطل أجهزة السمع والبصر فيفقد السمع والرؤية، فيصم أذنيه فلا تسمعان نداء الله، ويعمي عينيه فلا تريان نور الله، فإذا وصل إلى هذه المرحلة فإنه يرى الحق باطلاً ويرى الباطل حقاً.

والقرآن الكريم يرشدنا إلى وظائف هاتين القوتين من قوى الإنسان ويقدم لنا آثار التمتع بحيازتهما والآثار المترتبة على فقدانهما فيقول:

١) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝ ﴾ [البقرة:٦-١٠].

٢) ﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٠١].

٣) ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٥-١٧٩].

٤) ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦].

٥) ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الفتح:١١-١٢].

٦) ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجرات:١٤-١٥].

٧) ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد:١٦].

انظر معي أيها القارئ الكريم إلى هذا الذي أتاه الله آياته وائتمنه عليها، وكان في قومه كالقنديل يضئ لهم الطريق وكانوا به يقتدون، فطالما كان يسير على هدى هذه الآيات، فقد كان مكسواً بلباس التقوى، ولكنه عندما أعطى الفرصة للشيطان أن يحفر حفرة في قلبه، واختبأ في هذه الحفرة وسوس له، فغلبته وسوسته، جرده الله من ثياب التقوى و لم يعدها إليه لأن تجريده منها جاء ثمرة لانسلاخه الذي فعله طواعية لنفسه واتباعاً لهواه، فأصبح بذلك مضرباً للأمثال حيث مثله الله ﷻ بالكلب إن تحمل عليه يلهث وإن تتركه يلهث، وهذا تصوير لحالة العبد الآبق النفسية، فإن القلق يصيبه في جميع أحواله، أعطى أو حرم، طعم أو جاع، نام أو استيقظ، فهو دائماً في احتراق.

نعوذ بالله من ذلك، اللهم إنا نعوذ بك أن نقول زوراً، أو نغشى فجوراً، ونعوذ برضاك من سخطك، ونعوذ بك من كيد الشيطان الرجيم، ونسألك اللهم رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ [آل عمران:٨-٩].

وصل اللهم على سيدنا «محمد» النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

٨) ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَـٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَـٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام:٧١].

يقول الإمام «بن كثير»في تفسير هذه الآية:

قال السُدِّيُّ:قال المشركون للمسلمين اتبعوا سبيلنا واتركوا دين «محمد» فأنزل الله ﷻ ﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا ﴾ أي في الكفر ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ فيكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين في الأرض يقول مثلكم إن كفرتم بعد إيمانكم كمثل رجل خرج مع قوم على الطريق فضلَّ الطريق فحيرته الشياطين واستهوته في الأرض وأصحابه على الطريق فجعلوا يدعونه إليهم يقولون ائتنا فإنا على الطريق، فأبى أن يأتيهم وظل مع الشياطين فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد ﷺ، و«محمد» ﷺ هو الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام وهذا الرجل الذي نَعَتْ عليه الآية تمسكه بالضلال بعد الهدى وعدم إجابته لمن يدعونه إليه تعرض له صاحبا المثلين السابقين. استطاع الشيطان أن يحفر له حفرة في قلبه واختبأ فيها وفرّخ فيها، وفحّ فيها ناراً أحرقت زهرة الإيمان فيه، فاسود وأظلم فعمى عن الحقيقة وصمت أذناه فلم يسمع نداء الهدى يصدع به أصحابه «إلى الهدى أتينا» و لم يسمع فبقي على الضلال، و لم يكن له نصيب في الهدى.

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحشر:١٦-١٧].

قال الإمام «ابن كثير» في تفسير هاتين الآيتين عن سيدنا«عبد الله بن مسعود»-ﷺ-:كانت امرأة ترعى الغنم، وكان لها أربعة أخوة وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب، قال: فترل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له:اقتلها وادفنها، فإنك رجل مصدق، يُسْمَع قولُك فقتلها ثم دفنها، قال: فأتى الشيطان أخوتها في المنام فقال لهم:إن الراهب فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا، فلما أصبحوا قال رجل منهم:والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك، قالوا:لا بل قصها علينا، قال:فقصها، فقال الآخر:وأنا والله لقد رأيت ذلك، فقال الآخر:وأنا والله لقد رأيت ذلك؛ قالوا:فوالله ما هذا إلا لشيء. قال:فانطلقوا فاستَعْدَوا ملكم على ذلك الراهب، فأتوه وأنزلوه ثم انطلقوا به، فلقيه الشيطان، فقال:أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري، فاسجد لي سجدة واحدة فأنجيك، فسجد له فلما أتوا ملكهم تبرّأ منه وأُخذ فقُتل.

يقول الإمام «ابن كثير» وكذا روى عن «ابن عباس» و«طاووس» و«ابن مقاتل» و«بن حبان» نحو ذلك واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو «برصيصا» والله أعلم.

أرأيت ما يفعل الشيطان بابن آدم، إنه لا يرضى منه إلا الكفر، فلا يكفي أن يوقعه في الذنوب والمعاصي وإنما يظل يستدرجه إلى أن يقذف به في هوة الكفر العميقة ومكانه السحيق.

إنه لا يفاجئ المؤمن يطلب منه الكفر وإنما هو يزين له الذنوب صغيرة في البداية، ثم يلقى في حمأ الكبائر وعندئذ يكون من اليسير عليه أن يلقي به في قاع الشرك الأكبر والعياذ بالله.

ولكن الله ﷻ يرينا عدله في نهاية القصة في قوله تعالى: ﴿ فَكَانَ عَـٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَـٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الحشر:١٧].

سبحان الحكم العدل، سبحان الله رب العالمين.

إن الشيطان استدرج هذا الراهب فوسوس له وزين له جريمة الزنا مستغلاً في ذلك نقطة ضعف عنده وهي حرمانه من ممارسة المعاشرة الجنسية باعتبار هذه العملية غريزة تحتاج إلى إشباع هو حرمه على نفسه فعانى من كبت. ضرب الشيطان له على وتره فخر صريعاً، و لم يستطع مقاومته، فانكب على وجهه يعبّ من بحيرة الرذيلة المسمومة، وتأكد من وجود الثمرة المحرمة وهي الحمل السفاحيّ، والدنس العالق به يحمله وزراً على ظهره يدك ضلوعه، ويزرع شوك الندم والحسرة في قلبه، ويرسم على وجه الضحية شبح الخوف من الفضيحة وذل العار المحقق وسوء السمعة المنتظر، مع العقوبة الرادعة، والهول الجسيم. وكل هذا ولّد عنده رغبة في التخلص من جسد الجريمة، أوقدها الشيطان ناراً تأكل في بقايا قلبه المحطم، فحضه على قتلها..ليستريح، فأطاعه وانقض على الضحية وكتم أنفاسها فأسلمت الروح وأصبحت جثة هامدة بلا حراك فدفنها، وظن أنه ناجٍ من العقاب فنام. والشيطان لم ينم وقرر مواصلة الجهد الأثيم معه ليصل إلى هدفه الذي يحقق له السرور ويشفي منه الغليل، باتخاذه قريناً له فذهب يوسوس لأخوة الضحية الأربعة ويخطرهم بالجريمة والمجرم والمجني عليها، ولما تحقق الخطر ومثلت نهاية المجرم البشعة أمام ناظريه استغاث بالشيطان، فطلب منه ما يكون به غرضه منه قد تحقق، إذ أنه طلب منه السجود له والذي بمجرد وقوعه يكون قد هلك كافراً فأذعن المجرم، فسجد للشيطان فضاع وضاعه إيمانه وضاع أمانه وقُتل فمات كافراً. ووقع الجزاء الإلهي العادل عليهما وقيل ادخلا النار مع الخالدين.

١٠) ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٣].

هذا النوع من بني الإنسان الذي يتصل بالشيطان ويتصل الشيطان به، قد رتب أمور حياته على هذا الاتصال، فهو يجني منه الشهرة في المجتمع، ويجني نوعاً من الزعامة الكاذبة، القائمة على الدجل والشعوذة التي يسيطر بها على ضعفاء الإيمان، واهيي العقيدة، وعلى النساء ناقصات العقل والدين.

يقول الإمام «ابن كثير» في تفسير هاتين الآيتين:

يقول ﷻ مخاطباً لمن زعم من المشركين أن ما جاء به الرسول ﷺ ليس بحق، وأنه شيء افتعله من تلقاء نفسه، أو أنه أتاه به رئي من الجن، فنزّه الله ﷻ جناب رسوله عن قولهم وافترائهم، ونبه أن ما جاء به إنما هو من عند الله، وأنه تنزيله ووحيه، نزل به ملك كريم أمين عظيم، وأنه ليس من قبل الشياطين، فإنهم ليس لهم رغبة في مثل هذا القرآن العظيم، وإنما يتزلون على من يشاكلهم من الكهان الكذبة، ولهذا قال الله ﷻ:«هل أنبئكم» أي هل أخبركم «على من تَنَزَّل الشياطين، تَنَزّل على كل أفاك أثيم» أي كذوب في قوله وهو الأفاك «أثيم» وهو الفاجر في أفعاله. فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين، من الكهان وما جرى مجراهم من الكذبة الفسقة، فإن الشياطين كذبة فسقة «يلقون السمع» أي يسترقون السمع من السماء فيسمعون الكلمة من علم الغيب فيزيدون معها مائة كذبة، ثم يلقونها إلى أوليائهم من الإنس فيحدثون بها فيصدقهم الناس في كل ما قالوه بسبب صدقهم في تلك الكلمة التي سُمعت من السماء كما صح بذلك الحديث كما رواه «البخاري» من حديث «الزهري»:أخبرني «يحيى بن الزبير» أنه سمع «عروة بن الزبير» يقول:قالت «عائشة»- رضي الله عنها- سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان فقال:«إنهم ليسوا بشيء»، قالوا:«يا رسول الله!!فإنهم يحدثون بالشيء يكون حقاً» فقال النبي ﷺ:«تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاج فيخلطون معها أكثر من مائة كذبة».

وروى «البخاري» أيضاً حدثنا «الحميري» حدثنا «سفيان» حدثنا «عمر» وقال سمعت «عكرمة» يقول سمعت «أبا هريرة» يقول: إن النبي ﷺ قال:«إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنها سلسلة على صفوان فإذا فُزِّعَ عن قلوبهم قالوا:ماذا قال ربكم؟ قالوا:الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض- وصفه «سفيان» بيده فحرفها وبدد بين أصابعه-، فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال:أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء» تفرد به «البخاري».

وقال «البخاري» وقال «الليث» عن «عروة» عن «عائشة» عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الملائكة تحدث في العنان- والعنان الغمام- بالأمر في الأرض فتسمع الشياطين الكلمة فتقرها في أذن الكاهن، كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة».

وهكذا يكون الكهنة والسحرة إخواناً للشياطين وأنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله، وينطبق قول الله ﷻ:﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٠٢].

قال الإمام «ابن كثير» في تفسير هذه الآية، قال «مجاهد»: كانت الشياطين تستمع الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها، فأرسل «سليمان» عليه السلام إلى ما كتبوا من ذلك، فلما توفى «سليمان» عليه السلام وجدته الشياطين وعلمته الناس وهو السحر، وقال «سعيد بن جبير» كان «سليمان» عليه السلام يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم فيدفعه تحت كرسيه في بيت خزانته، فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه فدنت إلى الإنس فقالوا لهم:أتدرون ما العلم الذي كان «سليمان» يسخّر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا:نعم، قالوا: فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه، فاستأثر به الإنس وما استخرجوه وعملوا بها، فقال أهل الحجاز: كان «سليمان» عليه السلام يعمل بهذا وهذا سحر، فأنزل الله على نبيه محمد ﷺ براءة «سليمان» عليه السلام فقال: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة:١٠٢].

وقال «محمد بن اسحاق بن يسار»:عمدت الشياطين حين عرفت موت «سليمان بن داود» عليه السلام فكتبوا أصناف السحر. من كان يحب أن يبلغ كذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم «سليمان» وكتبوا في عنوانه:

هذا ما كتب «آصف بن برخيا الصديق» للملك «سليمان بن داود» من ذخائر كنوز العلم، ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا:«والله ما كان مُلْك «سليمان» إلا بهذا»، فأفشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه، فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله، فلما ذكر رسول الله ﷺ فيما نزل عليه من الله «سليمان بن داود»، وعدَّه فيمن عدَّ من المرسلين، قال مَن كان بالمدينة من اليهود:«ألا تعجبون من «محمد» يزعم أن «ابن داود» كان نبياً والله ما كان إلا ساحراً». وأنزل الله في ذلك مما قالوا: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ [البقرة:١٠٢].

١١) ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم:٢٢].

يقول الإمام «ابن كثير» في تفسير هذه الآية:

يخبر الله ﷻ عما خاطب به إبليس أتباعه بعد ما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنة، وأسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم إبليس لعنه الله يومئذ خطيباً، ليزيدهم حزناً إلى حزنهم وغبناً إلى غبنهم وحسرة إلى حسرتهم فقال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ ﴾ [إبراهيم:٢٢]، أي على ألسنة رسله، ووعدكم في إتباعهم النجاة والسلامة وكان وعداً حقاً، وخبراً صادقاً، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم، كما قال تعالى:﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء:١٢٠]، ثم قال:﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ﴾ [إبراهيم:٢٢]، أي ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ولا حجة فيما وعدتكم به ﴿ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ بمجرد ذلك، هذا وقد أقامت عليكم الرسل والحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به فخالفتموهم فصرتم إلى ما أنتم فيه، ﴿ فَلَا تَلُومُونِي ﴾ اليوم، ﴿ وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ﴾ فإن الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج واتبعتموني بمجرد ما دعوتكم إلى الباطل.

﴿ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ ﴾ أي بنافعكم ومنقذكم ومخلّصكم مما أنتم فيه، ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ﴾ أي بنافعيّ بإنقاذي مما أنا فيه من العذاب والنكال، ﴿ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ ﴾ قال «قتادة»: أي بسبب ما أشركتموني من قبل.

هذا خطاب إبليس يوجّهه يوم القيامة بعد أن يحاسب الله الناس فيدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكافرين النار، يوجهه للكافرين ويبدو أنه سيكون هناك حوار ساخن بينه وبينهم، هم يحاولون إلقاء المسئولية عليه، فهو الذي أضلهم وخدعهم وأوهمهم إن هم اتبعوه أنه يضمن لهم الجنة إن حاسبهم الله، وأن ما يأمرهم به الحق وما تأمرهم به الرسل باطل، وظل وراءهم يعدهم ويمنيهم حتى استطاع أن يكرس الكفر في قلوبهم طبقات، فعموا وصموا فضلُّوا وتاهوا، حتى أفاقوا على رؤيتهم مصيرهم الذي آلوا إليه في جهنم وبئس المصير، فانبرى لهم إبليس يدفع عن نفسه المسئولية، وينفي عن نفسه القدرة على إنقاذهم كما ينفي عنهم القدرة على إنقاذه من نفس العذاب الذي يصلونه جميعاً. فتبارك الله أحكم الحاكمين.

إذ حكم على الفريقين إبليس وجنوده ومن أطاعوهم من الكافرين بالعذاب الأليم. وهذا جزاء عادل أصاب الضال المضل إبليس والمضلَّلين المخدوعين من الكفار الذين تركوا هدى الله يحمله الأنبياء والمرسلون وتشبثوا بضلال لإبليس وتضليله فباءوا بالخسران المبين.

ما أوردته في هذا الفصل من المواقع القرآنية على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر من السياقات التي نكتشف بها سوياً مدى السوء الذي يضمره الشيطان لبني آدم وبنات حواء، فهو يتربص بهم ويكيد لهم كيداً، ولا يترك فرصة تواتيه بإلحاق الضرر بهم إلا وانتهزها، ولا يرى في واحد منهم أو واحدة منهن نقطة ضعف إلا نفذ منها ليحقق ضدهم كارثة تودي بأعز شيء يمتلكونه وهو الدين الصحيح والإيمان بالله وملائكته ورسله وباليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره.

ولنكتشف سوياً أنه لا يرضى من فريسته بارتكابها الصغائر واللمم من الذنوب والمعاصي، وإنما يلاحقها حتى تشفي غليله منها بكفرها الصراح.

إن عينه على الإيمان في قلب المؤمن، فإذا تمكن من نقطة الضعف فيه فإنه لا يتوانى في انتهازها فرصة لحفر حفرة في قلبه يختبئ داخلها ويوجه ضرباته المتلاحقة إلى جوهرة الإيمان حتى يحطمها ويستودع قلبه حشرة الكفر يتابعها في كيانه حتى يُلْقى بهذا الكيان في النار.

والمعصوم الذي يحفظه الله من هذا الكيد الإبليسي فيحفظ له جوهرة الإيمان تتلألأ في قلبه، وتفيض على وجهه نوراً يسعى بين يديه ومن خلفه ويهديه إلى جنات النعيم.

لقد حمل إبليس لواء الشر معلناً العداوة والحرب ضد الإنسان، وتوعد الإنسان بالويل والثبور، وسوء المصير، ولم يستح من إعلانه هذا الشرير في أكثر من موقع وفي عديد من المرات، منها ما ذكرته آنفاً ومنها ما أذكره الآن وهو ما احتوته الآيات من ﴿٧١-٨٣﴾ من سورة ص: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص:٧١-٨٣].

وبهذا أعلن إبليس العداء السافر لبني آدم وبنات حواء من طرف واحد، وهددهم وتوعدهم دون ذنب بدا منهم ولا أذى يصيبه بطريقة مباشرة فيها يتحقق ضرره. إلا إذا كانت طاعتهم لله تؤذيه وهذه تدفع عنهم أضرار الشرك وتجلب لهم خير الإيمان، ولكن إبليس نظر لهم بعين الحسد فظلمهم وكان هذا أول ظلم يقع على الأرض،

فإبليس يعد بذلك أول الكافرين وأول الظالمين وأول الحاسدين، وأصبح بذلك أول أهل النار من المخلوقين يصلاها وبئس المصير.

إن إبليس عرف أنه تعمد أن يعصى الله ﷻ وأنه يستحق الجزاء الذي جزاه الله به، ولكنه أسقط هذا الذنب على «آدم» ﷺ وعلى ذريته، واعتقد أُهم السبب فيما لحقه من عذاب، فقرر أن ينتقم منهم وذلك بإغرائهم بارتكاب المعاصي والذنوب، وتزيين الكفر لهم حتى يكفروا وبذلك يصبحون زملاء له في جهنم وبئس المصير.

ولقد تحقق عدل الله ﷻ في تعريف بني آدم وبنات حواء بهذا العداء السافر من إبليس فقال: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦]، مثلما قال لأبيهم: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه:١١٧].

والله ﷻ بهذا الخطاب يطالبنا بأن نكون على حذر من وسوسة الشيطان، ويغرس في وجداننا يقيناً أنه عدو لنا فيجب أن نعامله معاملة العدو المبين، نتهمه دائماً بالكيد لنا، ونيل الشر منا، وإحباط مساعينا في الخير، وتشجيعنا على فعل الشر مهما بدا منه من الصداقة الكاذبة، والنصح المسموم فهو دائماً كذاب مهما ادعى الصدق، غَرور مهما ادعى أنه الناصح الأمين، غشاش مهما أظهر الإخلاص، طاغوت مهما بدا في نعومة الملمس فإنه الحية الرقطاء، ففي وسوسته فحيحها المسموم، وبين أنيابها بحيرات السم الزعاف.

ولنعلم أن له جهاز استقبال في داخل كياننا وهو النفس الأمّارة، تستقبل إرسالاته الإجرامية فتلح على الضعفاء منا على تنفيذ طلباته حتى النهاية.

ولقد فطن إلى ذلك الصالحون من عباد الله فقال أحدهم وهو الإمام «البوصيري»- رضي الله عنهم- ينبه المخاطَبين في قصيدة «البُرْدة»:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضّاك النصح فاتّهم

ولا تطع منهما خصماً ولا حكماً ... فأنت تعرف كيد الخصم..والحكم

على أن سورة الشك التي يوسوس بها الشيطان في قلوب الناس قد طالت كثيراً من الناس على مختلف درجاتهم من حيث العلم والمعرفة، وعلى اختلاف درجاتهم من حيث العبادة والحكمة بعد ظهور شمس اليقين المحمدي في سماء الإسلام الحنيف، وأذكر منهم شيخ الإسلام وحجته الإمام «أبو حامد الغزالي» الذي سجل سيطرة الشك عليه مدة من الزمان، كادت تعصف به لولا عناية الله ﷻ ولولا أنه سجلها في كتاب «المنقذ من الضلال» ما ذكرتها قط لأن هذا الشيخ الجليل «أبو حامد الغزالي» من الراسخين في العلم، وله في قلوب المسلمين منزلة راقية، واحترام وتوقير ينضحان رحيقاً من الثناء عليه والشكر له، ما يكفي لتعطير الكون بأسره، فقد مجدوا أعماله الجليلة مثل «إحياء علوم الدين» الذي لا تخلو منه مكتبة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وتحتضنه جميع فئات الشعب المسلم في كل بقعة من بقع الوطن الإسلامي. والحمد لله رب العالمين أدركه ﷻ بعنايته وشفاه بالقرآن الكريم، وتحقق فيه قول الله ﷻ: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء:٨٢]، وكذلك قوله:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٤].

وكان هذا الشفاء من الله سريعاً وسبباً ببركته في الإصدارات العالية الغزيرة بالعلم الناضحة الحكمة والتي انتفع بها المسلمون وينتفعون بها إلى يوم الدين.

وقد لاحظت من قراءاتي أن عدداً من علماء الإسلام قد وجهوا نقد لكتاب «المنقذ من الضلال» لاموا فيه شيخنا «الغزالي»-رحمه الله- رحمة واسعة.

ولا أشك في أن دافعهم إلى ذلك هو غيرة إيمانية ولكني أسمح لنفسي أن أعاتبهم على هذا اللوم لهذه الشخصية العظيمة التي يدين لها بالتلمذة علماء أفاضل وهم الذين

بايعوه على أنه «حُجَّة الإسلام»، وتدين له أجيال المسلمين حتى تقوم الساعة بما تلقوه ويتلقونه من تعليم وإرشاد إلى حقائق الدين الحنيف، كشف فيه فكره الموسوعي، وعقيدته الراسخة، وحرصه على الأخذ بيد الناس إلى الطريق المستقيم ليلحقوا بسيدنا رسول الله ﷺ وصحابته الكرام- رضي الله عنهم-.

وهذا الكتاب «**المنقذ من الضلال**» الذي وجه هؤلاء العلماء الناقدون سهام النقد إليه، كشف عن حقيقة جوهرية كامنة في شخصيته العظيمة وهي أنه عبد لله ﷻ، قد خلصت عبوديته له، ولم يكن عبداً لشيء آخر سواه. وأول شيء تحرر منه هو نفسه التي بين جنبيه فلم يكن عبد نفسه وهواها، وعند ذلك وضع قدمه على أول درجات الرقي الروحي، حتى بلغ في ذلك مرتقاه الذي خاطب الناس من فوق قمته رحمه الله رحمة واسعة.

لقد قال هذا الشيخ الجليل في كتابه «المنقذ من الضلال» ما يأتي بعد أن سجل لنا ما عاناه من إعمال فكره، واستخدام عقله قاصداً الوصول إلى العلم اليقيني الذي يستقر عليه عقله وقلبه وتطمئن إليه.

قال: فلما خطرت لي هذه الخواطر، وانفرجت في النفس حاولت لذلك علاجاً فلم يتيسر. إذ لم يكن دفعه إلا لدليل، ولم يكن نصب دليل إلا من تركيب العلوم الأولية، فإذا لم تكن مسلمة لم يمكن تركيب الدليل، فأعضل هذا الداء، ودام قريباً من شهرين، أنا فيهما على السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال. حتى شفاني الله تعالى من ذلك المرض. وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة، موثوقاً بها على أمر اليقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل نور قذفه الله تعالى في الصدر، وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة، فقد ضيق رحمة الله الواسعة، ولما سُئل رسول الله ﷺ عن «الشرح» ومعناه في قوله تعالى:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ [الأنعام:١٢٥]، قال: «هو نور يقذفه الله تعالى في القلب»، فقيل:«وما

علامته؟»، قال:«التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود»، وهو الذي قال ﷺ فيه:«إن الله تعالى خلق الخلق في ظلمة، ثم رش عليه من نوره، فمن ذلك النور ينبغي أن يطلب الكشف» ﷺ .

وذلك النور ينبجس من الجود الإلهي في بعض الأحايين ويجب الترصد له كما قال ﷺ:«إن لله في أيام دهركم نفحات، ألا فتعرضوا لها» إن ثورته على نفسه، وعدم خضوعه لهواها، يظهر جلياً في اعترافه بالشك الذي عانى منه شهرين كاملين ذوى فيهما عوده، وانبرى جسمه، وضمرت أعضاؤه، وحزنت نفسه وأظلم وجدانه حتى أدركه الله ﷻ وأنار له قلبه، وجلا حزنه وشرح صدره.

إن الاعتراف صدر عن شجاعة وهبها الله ﷻ لهذا الإمام، مزقت في داخله ثياب الكهنوت عن نفسه فخرج منها عبداً لله ﷻ لا يعبد سواه ولا يخشى أحداً دونه فمنحه الله القول الثابت الذي ثبت به فؤاده وهو قول «لا إله إلا الله! لا معبود بحق إلا الله، محمد رسول الله، عليها نحيي وعليها نموت وعليها نُبعث إن شاء الله» وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا «محمد» النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

وإني معجب بهذا الإمام الجليل الذي استخدم الشك في الوصول إلى اليقين.

وأشكره إذ أنه كشف لي عن شك حميد، شك مضيء، شك هو أول درجة يرقاها عباد الله عند عروج أرواحهم إلى ملكوت رب العالمين، شك قاده إلى الهدى وعلم اليقين.

وأتذكر به وأُذكِّر القراء الكرام بتلهف خليل الرحمن سيدنا «إبراهيم» ﷺ

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

إنه عليه السلام تلهف إلى أن يتعلم فطلب العلم من الله، وأراد الله ﷻ أن يفجر نور العلم في داخل كيانه من عين قلبه التي انبجس منها هذا النور الفياض، فقد استعمل الله جوارح سيدنا «إبراهيم»، واستعمل قلبه وعقله وروحه في عملية يقوم بها بنفسه، فهو يجمع أربعة من الطير باذلاً جهداً في ذلك حتى تكون مجموعة الطير في حيازته، ثم يقوم بذبحها وتقطيعها إرباً إرباً، وينثر هذه الأشلاء على كل جبل منها جزء، ثم يصيح منادياً إياها، فيلتئم كل عضو إلى زميله في جسد الطائر، ثم يبعث الله هذا الجسد حياً، وتأتي الطيور إلى سيدنا «إبراهيم» سعياً وليس طيراناً.

ولعل الحكمة الإلهية وراء إتيانها لسيدنا «إبراهيم» سعياً هي تحققه من أنها نفس الطيور التي كانت محلاً لتجربته بالذبح والتمزيق فيرى بعيني رأسه ما أراد الله ﷻ أن يعلمه إياه عين اليقين، والله أعلى وأعلم.

ومن قراءة الآية الشريفة يتبين أن الله ﷻ أمر سيدنا «إبراهيم» عليه السلام أن يدعو أشلاء الطيور بنفسه أن تحضر إليه، وأعلمه أنها ستلبي دعوته لها بمجرد أن تصدر عنه هذه الدعوة، وفعلاً صدعت الطيور لأمر سيدنا «إبراهيم» عليه السلام الذي حمل في طياته أمر الله ﷻ وكان «خليل الرحمن» ستاراً لقدرة الله ﷻ :﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤]، ومن أجل ذلك ختم الله كلماته في هذه الآية بقوله:

﴿ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٦٠] .

وبهذا تعلم سيدنا «إبراهيم» من علم العزيز الحكيم ﷻ الذي أراد أن يقذف في قلب عبده نور اليقين المنبجس من علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين الذي فاض على عقله من داخل قلبه فاطمأن الطمأنينة التي طلبها عندما قال:﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ [البقرة:٢٦٠].

والله أعلى وأعلم، ﴿ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة:٣٢].

جزى الله سيدنا «إبراهيم» عليه السلام خيراً، وجزى الله الإمام «أبا حامد الغزالي» خيراً عنا بما قدماه لنا من أضواء على طريق الإيمان والإسلام وعلى الصراط المستقيم.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا «محمد» النبي العربي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.





الفصل الثاني

وسوسة الشيطان في الطهارة والصلاة

الفصل الثاني
وسوسة الشيطان في الطهارة والصلاة

واستيفاء البحث يقتضي منا الكلام في الوسوسة في النية وفي الغُسل والوضوء من ناحية، وفي الصلاة من ناحية أخرى، ونخصص لكل منهما مبحثاً على حدة.

المبحث الأول
في النية والغسل والوضوء

الوسوسة في النية

روى الإمام «البخاري» والإمام «مسلم»- رضي الله عنهما- عن أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب»-ﷺ- عن سيدنا رسول الله ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل إمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» متفق عليه.

تعريف النية:

النية في اللغة هي نوع من القصد والإرادة.

والنية في الشرع لها معنيان **المعنى الأول**: تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر، وتمييز رمضان من صيام غيره، وتمييز العبادات من العادات، كتمييز الغُسل من الجنابة من غُسل التبرّد والتنظيف، وهذه النية هي التي توجد كثيراً في كلام الفقهاء.

المعنى الثاني: بمعنى تمييز المقصود من العمل، وهل هو لله وحده لا شريك له، أم لله وغيره؟، وهذه هي النية التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم في كلامهم على الإخلاص وتوابعه، وهي التي توجد كثيراً في كلام السلف المتقدمين.

نقلت هذا التعريف من كتاب «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم» للشيخ «ابن رجب الحنبلي»- رحمه الله- رحمة واسعة.

وإن كان العلماء قد اختلفوا في تعريف النية، وتعددت تعاريفها مع تعدد وجهات نظرهم، فإننا نستطيع- بتوفيق الله ﷻ- أن نستخلص تعريفاً نصطلح عليه، ويكون سندنا في هذا البحث إن شاء الله تعالى وعلى هذا يكون تعريف النية:

«النية هي القصد وجمع الهمة والإرادة والوجدان على قول أو فعل ولا ينظر في تقويم العمل إلا لها ومحلها القلب».

ومن هذا التعريف يتضح أن النية في ذاتها عمل قلبي يجري في داخل الإنسان، وليس في حاجة إلى التعبير عنه باللسان، وإنما ينحصر التعبير عنه في العمل فقط، هو مظهر النية البادي للعيان.

قال العالم «ابن قتيبة» وهو أحد علماء الحنابلة في كتابه «دفع وسواس الشيطان بسنة خير الأنام» الموسوم بـــ«ذم الوسواس». من منشورات «دار الحرمين» بالقاهرة.ص ٢٠.

«اعلم أن النية: هي القصد والعزم على فعل الشئ ومحلها القلب، لا تعلق لها باللسان وكذلك لم ينقل عن النبي ﷺ ولا أصحابه في النية لفظ بحال، ولا يسعنا عنهم ذكر ذلك».

وهذه العبارات التي أُحْدِثَتْ عند افتتاح الطهارة والصلاة-وجعلها الشيطان معتركاً لأهل الوساوس يحبسهم ويعذبهم فيها- ويوقفهم في طلب تصحيحها فيرى

أحدهم يكررها ويجهد نفسه في اللفظ بها كأنه يجد ثقلاً يدفعه ليست من الصلاة أصلاً. فإنما النية قصد فعل الشئ. انتهى كلام «ابن قتيبة».

وأنت ترى أن التعريف الذي التزمت به يقترب تماماً مع هذا التعريف لـــ«ابن قتيبة».

ومن هنا يتبين أن النية ليست في حاجة إلى كلام يعبر عنها نطقاً باللسان، وأن الذين يلجأون إلى الكلام ليعبروا به عن قصدهم إتيان العمل مثل الوضوء أو الصلاة يكونون في هذه الحالة مخالفين لنهج سيدنا رسول الله ﷺ مخالفة تكدّر العمل العبادي الذي يعملونه من وضوء وصلاة وزكاة وصيام وحج، لأن المشرع الحكيم لم يطلب منهم الإعلان عن النية بالكلام وإنما جعل محلها القلب.

وليس لهم إلا اتباع سيدنا رسول الله ﷺ إذ أن اتباعه فرض فرضه الله ﷻ في كثير من آيات القرآن الكريم ومنها:

١) ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

٢) ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [آل عمران:١٣٢].

٣) ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء:٨٠].

٤) ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [المائدة:٩٢].

٥) ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤].

٦) ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور:٥٦].

٧) ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب:٢١].

٨) ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب:٣٦].

٩) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾[محمد:٣٣].

١٠) ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [الحشر:٧] .

كيف تحدث وسوسة الشيطان في النية؟

عند الوضوء وعند الدخول في الصلاة وعند الصيام وعند الزكاة وعند الحج. يحدث أن يَهِمَّ المسلم بإتيان فعل من هذه الأفعال مدفوعاً بحبه لطاعة الله وسيدنا رسول الله ﷺ ورغبة في الحصول على رضاهما، ويجد الشيطان صدق هذا الشخص في التوجه إلى الله، ويحب الشيطان أن يفسد هذا العمل لأن من طبيعته الفساد والإفساد، فيحدثه من داخله لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم فيقول له:«لا بد أن تؤكد باللفظ والكلام ما تريد فعله بالضبط» فينطق من الألفاظ ما يعبر به عن نيته في صلاة ركعتي سنة الوضوء، أو في صلاة الظهر مثلاً، وبنطقه هذه الألفاظ إذعاناً منه لأمر الشطان

يكون قد فتح خطاً بينه وبين هذا الشيطان الذي يفرح لذلك كثيراً وينهال على يقين ضحيته بمطرقة وسوسته حتى يزرع الشك مكانها، فيضطر الضحية أن يكرر الألفاظ مرة ومرات حتى يضيع وقته دون أن يتمكن من الخشوع في الصلاة، ويفقد في الوقت نفسه شيئاً عزيزاً جداً وهو اليقين، الذي يتعين عليه المحافظة عليه توثيقاً لعلاقته بربه الذي يعبده ويُسبِّح بحمده ويقدس له. وعندما تتهتك خيوط هذا اليقين الذي هو في حاجة إليه يشعر المسلم بالإحباط الذي يترتب عليه الإكتئاب والحزن الأسود الذي يفصله تماماً عن المجتمع. حيث ينفرد به الشيطان ليسلط عليه نار حقده لتحرق في قلبه فروع الإيمان..، مخلفاً في قلبه ظلمات الشك بعضها فوق بعض..، حتى يذوي عوده ويصبح حطاماً تأكله النار والعياذ بالله. ويكون عبرة لمن يضعف أمام عدوه اللدود..، ذلك الشيطان الرجيم.

الوسوسة في الطهور

الطهور هنا يتحقق بالوضوء والغُسل:

ونريد أن نعرف كيف تحدث وسوسة الشيطان فيهما، أخرج الإمام «أحمد» ﴿ ١٣٦/٥ ﴾ و«الترمذي» ﴿ ٥٧ ﴾ و«ابن ماجة» ﴿ ٤٢١ ﴾ وغيرهم من طريق «خارجة بن مصعب» عن «يونس بن عبيد» عن «الحسن» عن «عمتي بن صخرة العدي»، عن «أبي بن كعب» مرفوعاً عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال:«إن للوضوء شيطاناً يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء».

وهذا الحديث وإن كان ضعيفاً يقويه ما ورد من أحاديث صحيحة تثبت كيد الشيطان للإنسان عامة وللمسلم خاصة. وهو يبين للمسلم تربص الشيطان له، ويفضح أساليبه في نسف القربات التي يتقرب بها إلى الله ﷻ.

وأول ثمرة مرة يجنيها المسلم ويعاني منها المجتمع في هذا المجال هي الإسراف في الماء، والإسراف في كل شئ بغيض، لأنه يحرم الفرد والمجتمع من خير كثير، ويحقق في واقع الحياة أضراراً كثيرة. من أجل ذلك بغَّض الله عباده في الإسراف وحظره عليهم في القرآن الكريم:

١) ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف:٣١]، والإسراف المنهي عنه في هذه الآية هو الذي يحدث في هذه الأمور الثلاثة الزينة عند كل مسجد ويدخل فيها الوضوء والأكل والشراب.

٢) ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ۝٢٧ ﴾ [الإسراء:٢٦-٢٧].

٣) ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ [الفرقان:٦٧].

ووردت في الاقتصاد في الماء وعدم الإسراف فيه هذه الأحاديث:

١) حديث «أنس»-ﷺ- الذي رواه الإمام «البخاري» والإمام «مسلم»: «كان النبي ﷺ يغتسل بالصاع إلى خمسة أمداد» والصاع أربعة أمداد والمُدّ ١٢٨ درهماً وأربعة أسباع الدرهم ﴿ ٤٠٤ ﴾ سم٣ «فقه السنة» للعالم الجليل الشيخ «السيد سابق»- رحمه الله- رحمة واسعة.

٢) عن «عبيد بن أبي يزيد» أن رجلاً قال لـ«ابن عباس»- رضي الله عنهما- «كم يكفيني من الوضوء؟» قال:«مُدّ» قال:«كم يكفيني للغُسل؟» قال:«صاع»

فقال:«لا يكفيني» فقال:«لا أم لك، قد كفى من هو خير منك رسول الله ﷺ». رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» بسند رجاله ثقات.

٣) روى عن «عبد الله بن عمر»- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ مر بـ«سعد» وهو يتوضأ فقال:«ما هذا السرف يا سعد؟» فقال:«وهل في الماء من سرف؟» قال:«نعم وإن كنت على نهر جار» رواه أحمد وابن ماجة بسند فيه ضعف ولكن هذا الحديث يوافق ما جاء بالقرآن الكريم من آيات تنهي عن الإسراف.

٤) جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء فأراه ثلاثاً ثلاثاً قال:«هذا الوضوء من زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم» رواه أحمد والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة بأسانيد صحيحة.

٥) عن «عبد الله بن مغفّل»-رضي الله عنه- قال:سمعت النبي ﷺ يقول:«إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة. قال «البخاري»:«كره أهل العلم في ماء الوضوء أن يتجاوز فعل النبي ﷺ» نقلت هذه الأحاديث من كتاب «فقه السنة» للشيخ «السيد سابق»- رحمه الله- رحمة واسعة.

بماذا يتحقق الإسراف في استعمال الماء؟

أجاب على هذا السؤال الشيخ «السيد سابق»- رحمه الله- رحمة واسعة فقال في كتاب «فقه السنة» في باب الوضوء:

«الإسراف يتحقق باستعمال الماء لغير فائدة شرعية كأن يزيد في الغُسل عن الثلاث. واستشهد بالحديث الذي رواه «أحمد» و«النسائي» و«ابن ماجة» و«ابن خزيمة» بأسانيد صحيحة عن «عمرو بن شعيب» عن أبيه عن جده- رضي الله عنهم- قال:«جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يسأله عن الوضوء، فأراه ثلاثاً ثلاثاً، قال:هذا

الوضوء من زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم» وهو الحديث الذي ورد ببند ٤ من الأحاديث التي استشهدت بها.

صور من وسوسة الشيطان في الوضوء:

الصورة الأولى:جاءت في كتاب «الوسواس القهري» من منظور إسلامي أحد إصدارات عالم المعرفة التي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت في العدد ٢٩٣ يونية ٢٠٠٣ ص ٥٨ .

وشهدت أنا بعيني موسوساً دخل ميضأه ليتوضأ قبل الفجر من ليلة الجمعة، فما زال يتوضأ للصبح حتى طلعت الشمس ثم جاء إلى باب المسجد فوقف ساعة يفكر..، ثم رجع إلى الميضأة فما زال يتوضأ ويكرر غسل العضو إلى الغاية وينسى الغسل الأول..، ولم يزل حتى خطب الخطيب الخطبة الأولى ثم جاء إلى باب المسجد فوقف ساعة ورجع فما زال يتوضأ حتى سلم الإمام من صلاة الجمعة وأنا أنظر من شباك المسجد. ففاتته صلاة الصبح والجمعة!!!

الوضوء والقولون والتكرار:

كانت «ناهد» (وليس هذا اسمها الحقيقي) طالبة في إحدى الكليات العملية، جاءت مع أمها بعد إلحاح شديد من البنت لأن أمها لم تكن ترى أن هناك ما يستدعي العرض على الطبيب النفسي، وما قبلت الأم ذلك إلا لتثبت لابنتها أنه لا علاقة للشك الذي تعاني منه بالطب النفسي، وعندما سألها الطبيب عما تقصد بالشك، قالت الأم:«بنتي تضخم الأمور يا دكتور، ولا تقتنع بنصائح الشيخ الذي عرضتها عليه، هي ليست مجنونة على الإطلاق، كل ما هنالك أنها تنسى في أثناء الوضوء أو تشك في أنها أحسنته...»

وعندما سأل الطبيب «ناهد» أن توضح له مشكلتها، قالت:«أنا أضيع الكثير من الوقت في الوضوء؛ أحتاج على الأقل إلى ثلث ساعة كي أتوضأ، وذلك في حالتي العادية أي في حالة عدم شعوري بالقلق، ولو أن الأمر كذلك فقط لتحملته، لكنني أصلاً أشك في نقضي للوضوء، فكثيراً ما يصبح ثلث الساعة ثلثي ساعة وربما أكثر. وكثيراً ما أسلم وأنا في الركعة الثانية أو الثالثة لكي أعيد الوضوء، لأنني أشك في أنني نقضته!!!»

«ثم إن القولون عندي عصبي وهو ما يزيد المشاكل تعقيداً وقد سألت الشيخ وذكر لي حديثاً للرسول ﷺ:«إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه أخرج منه شئ أم لا؟ فلا يخرج من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً» صدق رسول الله ﷺ، وبالرغم من علمي بذلك فإنني لا أستطيع منع نفسي من الشك ومن إعادة الوضوء، وكثيراً ما حاولت مقاومة شكوكي ولكنني أقع في دوامة من العذاب، وما لم أكرر الوضوء أظل فيها، ولا أجد فائدة مما يقوله أبي وتقوله أمي من أنني يجب أن أساعد نفسي، وأن ما يحدث لي أنا المسئولة عنه لأنني- كما يقولون- لست مجنونة، وكل تصرفاتي تقول ذلك، ويستنتجون من ذلك أنني غير واثقة من نفسي، وعندما أتعلم الثقة في نفسي سأستطيع التخلص من تكرار الوضوء. نعم هذا رأيهم يا دكتور» انتهى ما جاء في ص﴿٦٣،٦٤﴾ من كلام الدكتور «وائل أبو هندي»«الوسواس القهري».

وقد اخترت هاتين الصورتين لأوضح مدى تأثير وسوسة الشيطان الرجيم على نفسية الإنسان، وما يترتب على ذلك من ويلات تصيبه وتصيب عبادته وتحيل سعادته إلى شقاء، ونعيمه إلى عذاب، وسكينته إلى قلق، وراحته إلى تعب، ونومه إلى أرق، ونضارته إلى شحوب، وقوته إلى هزال، وأمنه إلى فزع. وكل ذلك يجعله فريسة للشيطان يبطش به ويحتنكه كما توعد «آدم» وولده في الأزل. وقد علمنا وتيقنا أن

الشيطان هذا لا يقنع أبداً منه بهذه الحالة التي وصل إليها، بل إنه سيلفظه من حنكه إلى النار وبئس المصير بعد أن يصل به إلى الكفر والعياذ بالله. هل يكون مصير من وصل إلى هذه الحالة السيئة من الانصياع لوساوس الشيطان في الغسل والوضوء بالذات ومن الضعف والاستخذاء أمام كيده... غير هذا الدرك الأسفل الذي يستدركه إليه هذا الشيطان الرجيم؟

والسبب الآخر الذي ساقني إلى اختيار هاتين الصورتين هي ثقتي في علم صاحب الكتاب وأمانته العلمية، وإيمانه وخلقه ودينه، وصدقه وكل ذلك يتضح وضوح الشمس في كتابته، وفي استشهاداته بما ورد في القرآن والذكر الحكيم وفي سنة سيدنا رسول الله ﷺ، مما يدل على صفاء النبع، وسلامة القصد، وصدق العزم، على تنقية صدور الناس من وسوسة ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝﴾ [الناس:٤-٦]، جزاه الله خير الجزاء وأوفاه.

والسبب الثالث أنه ساق في استشهاداته نماذج عملية من واقع حياتنا اليومية، فأبطال قصصه أخوة لنا وأخوات يعيشون بيننا نتبادل معهم المشاعر ونفرح لفرحهم ونأسى لأساهم، وندعو الله لهم بالسلام النفسي والإيمان الكامل وسلامة القلب وانشراح الصدر وصفاء السريرة.

وهذه من مزايا الطب النفسي التي يتميز بها الطبيب النفسي عن العالم في علم النفس فقط. إذ أن عالم النفس يقول بنظرية وأما الطبيب النفسي فهو يضع هذه النظرية موضع التنفيذ فيجمع بذلك بين العلم والعمل.

والسبب الرابع: هو أني على يقين من أن وساوس الشيطان قدر يصيبنا جميعاً، لا يكاد أحد ينجو منها. فكلنا في حاجة إلى التزود بالعلم فيما يخصها حتى نكتسب القدرة على مواجهة الشيطان في أعماقنا والتغلب عليه، ومحق كيده وبهذا نكون قد انتصرنا عليه، وبالانتصار عليه يظل إيماننا على بشاشته وصدورنا على انشراحها، وقلوبنا على سلامتها وخطواتنا في طريقنا إلى الله على ثباتها:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

انظر معي أيها القارئ الكريم، وانظري معي أيتها القارئة الكريمة.

ماذا ينتظر الواحد منا لهذا الرجل الذي ظل يتوضأ من قبل صلاة فجر الجمعة إلى ما بعد صلاة عصر ما، وفوّت على نفسه صلاتين تمثلان الذروة في الأهمية من بين الصلوات الخمس!؟

فصلاة الفجر قال فيها الله ﷻ: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء:٧٨].

يقول الإمام «القرطبي» في تفسيره لهذه الآية:

روى «الترمذي» عن «أبي هريرة» عن النبي ﷺ في قوله:«وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً» قال:«تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار» هذا حديث حسن صحيح. وروى «البخاري» عن «أبي هريرة»-ﷺ- عن النبي ﷺ قال:«فضل صلاة الجميع على الواحد خمس وعشرون درجة وتجتمع ملائكة الليل والنهار في صلاة الصبح» يقول «أبو هريرة»:«اقرأوا إن شئتم» «وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً»

وبهذا المعنى يبكِّر بهذه الصلاة، فمن لم يبكر لم تشهد صلاته إلا إحدى الفئتين من الملائكة. ولهذا المعنى أيضاً قال «مالك» و«الشافعي»:«التغليس بالصبح أفضل» والتغليس يعني الوقت الذي يسبق أسفار الصبح. انتهى.

ويكفي للتنويه بعظمة هذه الصلاة وبالبر الذي يناله المسلم المصلي إذا صلاها هذه الآية من القرآن الكريم.

والسؤال: هل كان الشيطان ليترك هذا الرجل المسلم الذي هجر فراشه، وجافى جنبه مضجعه حباً لله ﷻ وطلباً لرضاه وتنفيذاً لأمره بأداء هذه الصلاة؟ هل يتركه الشيطان يحصِّل هذا البر الإلهي العظيم؟ هل يتركه ليهنأ بتبشير الملائكة له برضا الله عنه؟

لا! لا!!! وألف مرة لا!!!

لا بد له أن يحول بين هذا المسلم وبين نفحات الله وعطاياه. ولكي يصل إلى بغيته منه، ومأربه فيه فعليه أن يفسد عليه وضوءه ليحول بينه وبين الصلاة التي هي سبب بر الله له ونواله للعطايا القدسية والنفحات الإلهية والإشراقات الربانية. ففعل به ما رأيت لأنه سمع لوسوسته وهماهمه، فصاد فريسته له يقضمها بفكيه حسبما يشاء!!، والجدير بالذكر أن الشيطان عندما فعل به ذلك قد أراق من قلبه شراب الإيمان الحلو المذاق باعث الطمأنينة، وملأه بقيح الشك وصديد القلق... فذهب عنه اليقين.

وإذا خلا القلب من اليقين فقد أصبح بيتاً خرباً لا يسكنه إلا الشيطان والعياذ بالله!!!.

ثم إن الشيطان قد حرم هذا المسلم من صلاة الجمعة وهي صلاة عالية القدر عظيمة المكانة بين الصلوات، قال الله ﷻ منوهاً بشأنها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الجمعة:٩-١١].

وهذه الآيات تتضمن التنويه بصلاة الجمعة، وتعظم من البر الذي يبره الله لمن يصليها، والخير الذي يحصله بإقامتها...

وقد أشار سيدنا رسول الله ﷺ إلى سر هذه العظمة التي تميزت بها هذه الصلاة فقال:

١) روى الإمام«البخاري»-ﷺ- والإمام «مسلم» عن «أبي هريرة»-ﷺ- أنه سمع سيدنا رسول الله ﷺ يقول:«نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم، فاختلفوا فيه فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد».

٢) وعن سيدنا «عبد الله بن مسعود»-ﷺ- أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجمعة:«لقد هممت أن آمر رجلاً يصلي بالناس، ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم». رواه أحمد ومسلم.

٣) عن «أبي هريرة» وابن «عمر»- رضي الله عنهما- أنهما سمع النبي ﷺ يقول على أعواد منبره:«لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين». رواه أحمد ومسلم والنسائي.

٤) وعن «أبي الجعد الضمري»-ﷺ- أن رسول الله ﷺ قال:«من ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه» رواه الخمسة. ولأحمد وابن ماجة من حديث «جابر» نحوه وصححه «ابن السكن».

أرجوكم أيها القراء أن تتابعوا الشيطان معي وهو يستدرك هذا الأخ الذي ظل يتوضأ ويتوضأ من قبل صلاة الفجر إلى ما بعد أذان العصر وحتى نزل به إلى هاوية الشك السحيقة تاركاً وراءه البر الإلهي، والخير الرباني غارقاً في بحيرة الصديد..، صديد الشك وسوء الظن والعياذ بالله.

انظروا إلى الشيطان وهو يأخذ بناصيته ويحرمه مما تضمنته النصوص السابقة من خير وبركة ويذيقه كل ما تضمنته من ويلات تنتظره وتنتظر معه التاركين لصلاة الجمعة.

إن هذا الرجل الذي يصل إلى هذه الحالة السيئة من الشك وسوء الظن ليس بينه وبين الكفر إلا غلالة لا ينجيه منه إلا عناية الله ﷻ ورحمته وفضله وإحسانه. ذلك لأن الشيطان بوسوسته وهذا الرجل بإذعانه له لا ينتج عنهما عمل طيب، ولا يتحقق بهما إلا الهلاك لهذا المسكين!!!

وتسألني أيها القارئ الكريم لماذا توقعت سقوط هذا الأخ- الضحية للشك والفريسة للشيطان- في هاوية الكفر؟ فأجيبك على الفور بأن هذا مصير مَنْ يذعن للشيطان ويترك هدى الرحمن، ويتجنب نصائح سيدنا محمد رسول الله ﷺ إن الله ﷻ قال:

١) ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝ ﴾ [الأعراف:٢٠٠-٢٠١].

٢) ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [فصلت:٣٦].

قال الإمام «القرطبي» في تفسير آية سورة الأعراف:﴿ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ أي اطلب النجاة من ذلك بالله، فأمر ﷻ أن يدفع الوسوسة بالالتجاء إليه والاستعاذة به، ولله المثل الأعلى.

فلا يستعاذ من الكلاب إلا برب الكلاب. وقد حكى عن بعض السلف أنه قال لتلميذه:«ما تصنع بالشيطان إذا سول لك الخطايا؟» قال:«أجاهده». قال:«فإن عاد؟» قال:«أجاهده». قال:«فإن عاد؟» قال:«أجاهده». قال هذا يطول. قال:«أرأيت لو مررت بغنم فنبحك كلبها ومنعك من العبور ما تصنع؟» قال:«أكابده وأرده جهدي». قال:«هذا يطول عليك ولكن استغث بصاحب الغنم يكفه عنك».

والنَّغْزُ النزغ والهمز والوسوسة سواء قال الله ﷻ: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [المؤمنون:٩٧]، وقال: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الناس:٤].

وأصل النزغ: الفساد يقال:«نزغ بيننا». أي أفسد، ومنه قوله: ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ﴾ [يوسف:١٠٠]، وقيل: النزغ الإغواء والإغراء، والمعنى متقارب. انتهى.

فلو أن صاحبنا هذا لجأ لله من أول همسة من همسات الشيطان الخناس. لخنس الشيطان على الفور وأسقط في يده لاستحالة الدخول إليه وهو في حمى الله ﷻ : ذلك لأن الله ﷻ قال: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء:٧٦].

ولو أنه تذكر نعمة الله عليه: إذ جعله إنساناً فوهبه طاقة عظمى يستطيع بها أن يقهر الشيطان ويقهر وسوسته، لما تخاذل أمامه ولما مكّنه من الاستيلاء عليه والأخذ بزمامه لإلقائه في هاوية الشك وبحور الأوهام. فلو أنه تذكر أنه إنسان لتذكر مع هذه الحقيقة حقيقة أخرى هي أنه خليفة الله في الأرض، هذه الخلافة التي أعلنها الله ﷻ في الأزل للملأ الأعلى ثم وصل العلم بها لكل المخلوقات في قوله عز من قائل: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة:٣٠-٣٣].

هذا فضل الله على الإنسان، ووهبه خلافته في الأرض وفي الساعة التي وهبها إياه بث فيه طاقة جبارة تمكنه من النهوض بهذه المسئولية، ويتغلب بها على كل الصعاب التي تعرقل مسيرته، والعقبات التي تعترض طريقه ومنها وساوس الشيطان، فلو أن صاحبنا هذا تذكر ذلك، واستدعى هذه الطاقة، واستعان بالله ﷻ، لتمكن من قهر الشيطان وأطفأ نار وسوسته، ولأجبره على الخروج من ميدان المعركة مذءوماً مدحوراً، ولبقيت في قلبه براعم اليقين زاهية مزدهرة، تؤتي ثمارها كل حين بإذن ربها..، و لَتُثَبِّت قدماه على طريق السعادة في الدنيا والآخرة.

لكنه تلقى أول صفعة من عدوه فتكوّم على الأرض فركله وكان من اليسير على هذا العدو أن يقذف به في أتون الوسوسة، فاحترق واحترقت معه أعواد اليقين فظل يتوضأ من قبل صلاة الفجر إلى ما بعد صلاة العصر فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأما صاحبة الصورة الثانية من الوسوسة، وهي الطالبة في إحدى الكليات العملية، وتعتريها وسوسة الشيطان عند الوضوء، وبعد دخولها في الصلاة تحت وطأة مرض القولون العصبي، فهذه أيضاً فريسة للشيطان يسلط عليها وسوسته قاصداً إبعادها عن طريق الهداية بعد أن عرف أشواقها الروحية التي تدفعها إلى التقرب إلى الله..، على أن عتبات القرب وهي السجود له فالسجود لله هو أعلى مراتب العبودية، قال الله ﷻ:

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝ ﴾

[العلق: ٩-١٩].

نسيت هذه الأخت الطيبة أن الله ﷻ قد جعل السجود لله أعلى درجات العبودية له ﷻ وأن كمال العبودية في هذا السجود.

ونسيت أن سيدنا رسول الله ﷺ عرفنا أن أقرب ما يكون العبد من الله ﷻ وهو ساجد وأمرنا قائلاً: «فأكثروا الدعاء» رواه مسلم.

ونسيت أن إبليس رفض السجود وأعلن عصيانه لله..، وكان هذا سبباً لرجمه وطرده من الجنة مصحوباً بلعنة الله والملائكة والناس أجمعين، قال الله ﷻ ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف:١٨].

فهي نسيت أن لسيدنا رسول الله ﷺ توجيهاً في هذا الشأن الذي تشكو منه يقول فيه: «**إذا وجد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه، أخرج منه شئ أم لا؟ فلا يخرجن من المسجد حتى يسمع صوتاً أو يجد ريحاً**» صدق رسول الله ﷺ رواه الإمام مسلم في صحيحه.

إنها بخروجها من الصلاة لمجرد الشك قد أطاعت الشيطان وانصاعت لوسوسته وخالفت أمر سيدنا رسول الله ﷺ.

ولو أنها أطاعته ونفذت أمره لزاد إيمانها، وتفجرت في كيانها الطاقة الربانية التي وهبها الله إياها، واندحر الشيطان عنها، وأكملت صلاتها لتكتمل فيها العبودية لله ﷻ، ولتحقق لها وعد الله ﷻ في الآية ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ [محمد:١٧].

إن تنفيذ أوامر الله ﷻ، والإذعان لأحكامه، وطاعة سيدنا رسول الله ﷺ والامتثال لأوامره،- كل ذلك- هو سبب السعادة للمسلم وللمسلمة؛ وفي ذلك الضمانة الوثيقة للحصول على رضاهما، وفيه اكتمال العبودية لله ﷻ.

وإن الشيطان لا يفرح بسعادة للإنسان هو قد حُرِمَ منها حرماناً أزلياً أبدياً، فهو يسعى في غير كلل ولا ملل ليحرم المسلم والمسلمة من هذه السعادة، ويقف لها عقبة في أي طريق يوصلهما إليها، ويقعد لهما الصراط المستقيم الذي أوله الصلاة بما فيها من سجود وآخره جنات النعيم حيث رضوان الله وعطاياه.

فعلى كل مسلم ومسلمة أن يعرف هذا جيداً، فلا يسمع للشيطان مشورة، ولا ينفذ له أمراً وليسمعوا تحذير الله لهم:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦].

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ [آل عمران:٨-٩].



المبحث الثاني
وسوسة الشيطان في الصلاة

كيف تحدث الوسوسة؟

توصيف سيدنا رسول الله ﷺ:

الحديث الأول:

عن «أبي هريرة»-رضي الله عنه-قال:قال رسول الله ﷺ:«**إن عفريتاً من الجن جعل يفتك على البارحة ليقطع عليّ الصلاة، وإن الله أمكنني فَذَعَتّه، فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون أو كلكم ثم ذكرت قول أخي «سليمان» عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾** [ص:٣٥].

الحديث الثاني:

عن «عثمان بن العاص»-رضي الله عنه- أنه أتى النبي ﷺ فقال:«**يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ**»، **فقال** ﷺ:«**ذاك شيطان يقال له خِنْزَبٌ، فإذ أحسسته فتعوذ بالله واتفل عن يسارك**»، **قال:«ففعلت ذلك فأذهبه الله عني**» رواه مسلم.

الحديث الثالث:

عن «أبي هريرة»-رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال:«**إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع الأذان، فإذا قضى الأذان أقبل، فإذا ثوب بها أدبر، فإذا قضى التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه يقول:اذكر كذا... اذكر كذا، لما لم يكن يذكر يظل الرجل لا يدري كم صلى، فإن لم يدر أحدكم ثلاثاً صلى أم أربعاً فليسجد سجدتين وهو جالس**» **رواه البخاري ومسلم. وقال البخاري قال «عمر»:«إني لأجهز جيشي في الصلاة».**

الحديث الرابع:

عن «أبي الدرداء»-رضي الله عنه- قال:قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول:«**أعوذ بالله منك**»، **ثم قال:«ألعنك بلعنة الله ثلاثاً»، وبسط يده، كأنه يتناول شيئاً فلما فرغ من الصلاة قلنا:«يا رسول الله!! قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك؟» قال:«إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت:أعوذ بالله منك ثلاث مرات، ثم قلت: ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا «سليمان» لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة»** هذا الحديث رواه الإمام مسلم.

وأكتفي بهذه الأحاديث الأربعة التي نقلتها من الصحيحين.

ولقد أعجبني في الحديث الأول والحديث الرابع خلق من أخلاق سيدنا رسول الله ﷺ وكل أخلاقه عظيمة تتكامل في شخصه الشريف حتى يحوز مدح الله ﷻ وثناءه، في قوله ﷻ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

هذه الشجاعة الأدبية المثالية الرفيعة تتجلى في هذه المصارحة البادية منه لأصحابه الكرام، عندما يخبرهم بأن الشيطان يتبجح ويتعرض له في الصلاة محاولاً إفسادها عليه، وهو المعصوم ﷺ بتمكين من الله ﷻ، فهو بهذه العصمة وبحماية الله له ﷻ أرقى وأعلى من أن يطمع إبليس اللعين في التأثير السلبي على عبادته لله.

لأنه أشرف الخلق، وسيد ولد «آدم»، وأكرم الأنبياء وخاتم المرسلين، وأرقى عباد الله الصالحين، وقد قال الله ﷻ ينذر إبليس ويتوعده: ﴿ قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝٤١ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝٤٢ ﴾ [الحجر:٤١-٤٢].

والواجب في حق الأنبياء العصمة، وهو ﷺ سيد الأنبياء والمرسلين. ومن هنا فقد يئس الشيطان أن ينال من سيدنا «محمد» ﷺ ما يسره.

ولكن سيدنا رسول الله ﷺ يتواضع لأمته، ويقربهم منه ويقترب منهم، ويظهر أمام صحابته وكأنه واحد منهم، ليفقههم في الدين، ويسكب في قلوبهم العلم، ويساندهم في حالة تعرضهم لهمزات الشيطان تمكيناً لهم في النصر عليه، ودفع وسوسته عنهم ونجاتهم من أذاه، وحفظاً لدينهم عقيدة وعبادة. وذلك كله بخطابه لهم الوارد في هذين الحديثين، ليؤكد لهم أنهم ليسوا هم وحدهم الذين يتعرضون لكيد الشيطان، وإنما هو نفسه مع قدره العظيم، وعلو مكانته، ورفعة شأنه، وعصمته من كل شر، فإن الشيطان يعرض له أيضاً ويحاول أن ينال منه مثلما ينال منهم، وأن يحقق فيه مثلما يحقق فيهم من وسوسة، وتشغله عن مناجاته لربه في أرقى مكان ومكانة يناجي عليهما الله رب العالمين، وهو المسجد والسجود!!!.

وإني أعتبر هذا التوجيه من حضرة النبي ﷺ ينطوي على إعجاز علمي في مجال التربية. ذلك لأنه وهو المربِّي قد نفذ إلى أعماق أعماق تلاميذه الذين يربيهم، وتملك أزمتهم من داخلهم، وجعلهم هم بأنفسهم يصلحون ما يفسد من وجدانهم، ويصححون ما حدث من خطأ في تصوراتهم، ويقوِّمون ما يكون من زيغ في قلوبهم، وقد أفلح كل الفلاح، ونجح كل النجاح، عندما جعل من نفسه وهو المثل الأعلى لهم المثال الذي يضربه لهم أثناء توجيههم وتربيتهم، وهذه الطريقة التي انتهجها ﷺ مع أصحابه هي التي نهضت بهم وجعلت منهم أشجع الجنود، وأعلم العلماء، وأكثر القادة خبرة وأوسعهم حنكة، وأسلم الناس صدراً، وأرجحهم عقلاً، وأقواهم قلباً، وأشدهم عزيمة، وأكثرهم تقوى، وأشدهم حرصاً على إذكاء روح العمل الاجتماعي، وعلى صنع الحياة وإنماء البيئة، وتخليص الجهود الإنسانية من الشوائب، وتحقيق روح الانتماء للإنسانية، فنجحوا وحققوا للإنسانية الانتصارات الروحية وتحقق فيهم قول الله ﷻ:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١].

ومن بركات هذا التوجيه النبوي الشريف أنه تسعد به الأمة كلها في كل زمان ومكان حتى يوم القيامة، فجميع أجيال الأمة حتى وقتنا الحاضر وكذلك الأجيال القادمة حتى يوم القيامة ينتفعون بهذا التوجيه ويسعدون إذا عملوا به وتكون السعادة في الدنيا والآخرة.

وهذا لا يتأتى إلا لسيدنا رسول الله ﷺ.

فبالنسبة لي شخصياً فقد انبهرت بهذه الطريقة التي وجه بها أصحابه للتعامل مع محاولات الشيطان التي يهدف منها إلى تحطيم نفوسهم، وإحباط سعيهم للوصول لرضا الله ﷻ عنهم. فإني قد استفدت فائدة عظيمة عندما قرأت هذين الحديثين الشريفين في صحيحي الإمام البخاري والإمام مسلم.

وتتمثل هذه الفائدة فيما يأتي:

أولاً: دفقة طمأنينة بردت قلبي، وهدأت نفسي، وأضاءت عقلي عندما وجدت أنني لست وحدي الذي أعاني من وسوسة الشيطان، ولكن من حاول الشيطان أن يفتك بصلاته هو أعظم المخلوقين وأشرف المرسلين سيدنا «محمد» ﷺ وأنه قد وصف الدواء الناجح الذي يتحقق به الشفاء بإذن الله ﷻ إذا ما أصبت به، وبذلك يكون قد أعطاني أملاً في التغلب على هذا الشيطان الرجيم، والحصول على السلام النفسي وعلى صفاء السريرة، ونجاة القلب من وساوس الشيطان.

ثانياً: مثل أمامي بوضوح حرص سيدنا رسول الله ﷺ على تحقيق السلام النفسي لأمته، فهو يتعقب مصادر القلق النفسي الذي يصيبهم فيقضي عليها، ويَجْبُر ما أحدثته هذه المصادر من كسور، فيصدّق قول الحق ﷻ في شأنه: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة:٦١].

ويصدق عليه أيضاً قوله الحق ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

فهو ﷺ في هذين الحديثين يضع أساساً متيناً في علم التربية أمام المربين جميعاً يهديهم به إلى أصول التربية البناءة التي تُنتج الإنسان الصالح الذي ينطبق عليه قول الحق ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[الأنبياء:١٠٥].

ولقد تحقق هذا بمجرد سرد قصته مع الشيطان وتغلبه عليه لدرجة أنه كان سيربطه على سارية المسجد ليراه كل المسلمين. فهو بذلك قد أعطى كل مسلم من بعده المثل الأعلى في الثقة بالله، ثم الثقة بالنفس، ثم الثقة بالإيمان الذي يملأ قلبه. فهو بحق وصدق أقوى من الشيطان لأنه يستمد هذه القوة من الله ﷻ لأنه قريب منه في الوقت الذي يبعد الشيطان عن الله، وقربه من الله يجعل الشيطان عاجزاً تماماً عن الوصول إليه..، فهو آمن تماماً من مكره وكيده.

ثالثاً: لقد استفدت تماماً من قراءة هذه الأحاديث ويكفي أنني اكتسبت ثقتي في نفسي وفيما منحني الله ﷻ من إيمان حبَّبه إلى وزيَّنه في قلبي فضلاً منه ﷻ ونعمة، وإحساناً ورحمة، فعندما قرأت هذه الأحاديث شعرت بتواضع أشرف الخلق سيدنا «محمد» ﷺ فأدناني هذا التواضع منه، فأرهقت أذني لأسمع، وفتحت قلبي ليتلقى الدفقة الإيمانية العطرة، وحشدت وجداني ليعي، وأيقظت عقلي ليحفظ، وأعددت جوارحي لتسلك، فوجدتني في حصانة من كيد الشيطان، وفي مناعة من وسوسته. فدلفت إلى قلبي سكينة أعقبت نشوة أورثتني راحة فاضت حولي روحاً وريحاناً، ووجدت الشيطان صريعاً يئن أنيناً ينعى به حظه، فأنشدت أنشودة كل الصالحين:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:٤٣].

و لم لا؟وقد نصرني الله ﷻ على الشيطان وأذْهَب عني ما كان يبيته لي من شر، وما يبغي لي من ضلال استقر قلبي، واستراح، واستروح وجداني وهدأت نفسي، ووجدتني مدفوعاً لشكر سيدنا رسول الله ﷺ بهذه الكلمات:

« سيدي يا رسول الله!! يا نبي الرحمة، الصلاة والسلام عليك، يا أشرف الخلق أجمعين وأشرف المسلمين، ورحمة الله للعالمين!!»

اعلم يا سيدي أن الله قد ميزك على سائر رسله- عليهم جميعاً الصلاة والسلام-، بمزايا تتفوق على الحصر، وتتعالى على التحديد، واعلم يقيناً أني لا أقوى على وصف هذه المزايا ولا أستطيع حتى مجرد الحديث عنها، ولكني يا سيدي يا رسول الله أحس عظمتها، وأشعر بكرامتها، لأنها تغزوني من عمق كياني، وتضيء كل ذرة منه، وتمس روحي بأشعتها القدسية فتجعل منها تياراً يتحرك في جسدي، وقشعريرة في جلدي، يستقبلها قلبي سكينة تحييه بهجة وفرحاً وسروراً، وتعتريني هذه الحالة وأنا أقرأ وأسمع قول الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران:٨١].

أقرأ وأسمع هذه الآية فتعتريني رهبة تعقد لساني، وهيبة تعطل جناني، وتحدثني نفسي إن الغاية دونها خرط القتاد فلست أهلاً للقرب من هذا الجناب العالي، والقمة السامقة والربوة الشاهقة، تحول بينك وبينها ذنوب وخطايا، هي طبقات بعضها فوق بعض فأرح نفسك واطرق رأسك وغض بصرك فلست هناك!!!

أين من هذا المؤتمر الأعظم، الذي حشد فيه الله ﷻ، ملك الملوك، رب الأرباب، ومُسيِّر السحاب، جبار السموات والأرض، جميع أنبيائه ورسله من قَصَّهم عليه ومن لم يقصصهم، ليعلن لهم هذا الإعلان الجليل الأسمى، ويأخذ عليهم العهد الوثيق

الأعلى، متجلياً عليهم بجميع أسماء الكمال وأسماء الجلال وأسماء الجمال من أسمائه الحُسنى، ومنها اسمه «الشهيد» وأخذ منهم الشهادة بأن «محمداً» رسول الله ﷺ، وأخذ عليهم الإقرار له بذلك وأهم يؤمنون به وينصرونه!!!

وعندما أقرأ وأسمع قول الحق ﷻ:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩].

أطمع في السعي إليك، والقرب منك يحدوني حديثك الشريف الذي أردت به أن تقرب المسافة بينك وبين حبيب لك هزته هيبتك، وراعه جلالك، وزلزلت كيانه رهبتك، فلم يجد لفظاً يعبر به عن حبه لك، فحاول السجود أمام هذه العظمة التي وهبها الله لك، وهذا الجلال الذي منحه الله إياك، فأخذت بيده تدفعه إليك قائلاً:«هون على نفسك يا أخي، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد».

وهنا ومن هذا المكان الذي وصّلت إليه ذلك الأخ الأعرابي الذي هزته هيبتك أرفع صوتي لك بكلمات شكر لك على ما أسديته إليّ من هدى حديثك، ومن نور حكمتك في الأحاديث التي عالجت بها وساوس الضعفاء مثلي.

من هذا المكان الذي عثرت عليه، فوقفت فيه، وتركت العنان لروحي حتى تناجيك، ولقلبي حتى يحدثك، وللساني ليلهج بالصلاة والسلام عليك امتثالاً لأوامر الله العلي الأعلى في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا «محمد» النبي الأمي وعلى آله وصحبه عدد حروف القرآن حرفاً حرفاً وعدد كل حرف ألفاً ألفاً، وعدد صفوف الملائكة صفاً صفاً، وعدد كل صف ألفاً ألفاً، وعدد الرمال ذرة ذرة، وعدد كل ذرة ألف ألف

مرة، عدد ما أحاط به علمك، وجرى به قلمك ونفذ به حكمك في برّك وبحرك وسائر خلقك، عدد ما أحاط به علمك القديم، من الواجب والجائز والمستحيل. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه مثل ذلك.

وإني أرفع لك أسمى عبارات الشكر، على تواضعك هذا وأنت عطينا من علمك ما يحفظ علينا ديننا ويصون لنا إيماننا، ويزيد لنا يقيننا، ويبعث فينا أسمى آمالنا، وأنت تقدم شخصك العظيم مثالاً لنا، يحيي موتانا، ويُربي إسلامنا، ويقوي عقيدتنا وتُشْعِرُنا بأن الشيطان سَوَّلت له نفسه اللعينة أن ينال من صلاتك وأنت المعصوم العالي القدر العظيم الشأن، وعَلَّمْتَنا كلمات نقولها بعزيمة قوية، وعقيدة راسخة، وقلب مخلص، فيبطل بذلك كيد الشيطان، فتسلم لنا الصلاة، وتطمئن منا القلوب، وتسكن الأرواح، ونظل ننعم بالمثول بين يدي رب العالمين، نأتنس به من وحشة ونغتني به من فقر، ونهتدي به من ضلال، ونرتوي من عطائه من ظمأ، ويحدونا الأمل في إكرامه لنا بالفلاح لننعم بعطاياه الواردة في قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝٤ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون:١-١١].

وما كان لمثلي أن يأمل في بلوغ غايته إلا بنور الأمل الذي ظهر لي في الأحاديث الشريفة المذكورة ولاح في كلماتها فأشاع في قلبي الشعور بالأمان. شكراً شكراً شكراً يا سيدي يا رسول الله شكراً جزيلاً، وحمداً وفيراً على ما قدمت لنا نحن الضعفاء من هَدْي، وما أسديته لنا من نصح، وعلى ما قدمت لنا من علاج لقلوبنا من وساوس

الشيطان الرجيم بعد أن تعمّد أن يقف حائلاً بيننا وبين الله، فانتفعنا بهديك، واغترفنا من حكمتك، فولى مذءوماً مدحوراً..، وفتح الطريق بيننا وبين الله، وأصبحنا بفضل الله وبفضلك على بابه واقفين نطرقه بالدعاء له في إلحاح آملين في إجابة الدعاء، وتحقيق الرجاء.

«اللهم اجز نبيك ورسولك «محمداً» ﷺ عنا خير ما جزيت به نبياً عن أمته، وآته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة العالية، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد».

اللهم صل على سيدنا «محمد» طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، نور الأبصار وضيائها على آله وصحبه وسلم.

اللهم إني أسألك بحق أسمائك الحُسنى وكلماتك التامات وأسألك بحق كل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علّمته أحداً من خَلْقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تصلي على سيدنا «محمد» وعلى آله وصحبه وتُسلّم تسليماً كثيراً.

الصلاة

تعرف الصلاة بأنها عبادة تتضمن أقوالاً وأفعالاً مخصوصة، مفتتحة بتكبير الله ﷻ مختتمة بالتسليم {الشيخ السيد سابق- رحمه الله- فقه السنة}.

والصلاة في الإسلام هي أم العبادات كلها. تجتمع فيها خصائصها، وتعد تدريباً على النهوض بجميع أركانها فهي فيها فضيلة الصيام حيث يمتنع على المُصلّي تناول الطعام والشراب طالما يصلي، وكذلك تحتوي خاصية من خصائص الزكاة، إذ أنها تقتطع جزءاً من عمر الإنسان يكون زكاة يقدمها العبد لربه عن هذا العمر.

وفيها أيضاً خاصية من خصائص الحج وهي المساواة بين المصلين بين يدي الله لا فرق بين كبير وصغير، ولا فرق بين خادم ومخدوم، ولا فرق بين رئيس ومرءوس ولا

فرق بين غني وفقير، فالمرء وإتقانه للصلاة والمرء وإخلاصه في أدائها فالكل عبد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد. وكل الناس لآدم وآدم من تراب وما الصلاة إلا تدريب للنفس على التعامل مع هذه الحقيقة بالتفاعل مع أعضاء المجتمع الإسلامي وقبول هذا الميزان العادل، والاقتناع تماماً بهذه القيم الرفيعة.

منزلتها في الإسلام:

أترك المجال لأستاذنا الشيخ الجليل «السيد سابق» وهو يشرح منزلة الصلاة في الإسلام في كتابه القيم «فقه السنة» فيقول:«وللصلاة في الإسلام منزلة لا تعدلها منزلة أية عبادة أخرى. فهي عماد الدين، لا يقوم إلا به، قال رسول الله ﷺ :«أس الأمر الإسلام وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله» وهي أول ما أوجبه الله ﷻ من العبادات، تولى إيجابها بمخاطبة رسوله ليلة المعراج من غير واسطة، قال «أنس»:«فرضت الصلاة على النبي ﷺ ليلة أُسْري به خمسين، ثم نقصت حتى جعلت خمساً، ثم نودي: يا محمد، إنه لا يبدل القول لدي، وإن لك بهذه الخمس خمسين» رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه. وهي أول ما يُحَاسب عليه العبد». انتهى

وإن الصلاة هي التي تميز بين المسلمين بعضهم وبعض والمسلمين وغيرهم. ففي «صحيح مسلم»: عن «جابر»-ﷺ- عن النبي ﷺ قال:«بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة».

وهي الوسيلة الناجعة في تحديد هوية المرء وصدق انتمائه الإسلامي، وإلى هذا يشير الحديث الشريف:«إذا رأيتم الرجل يتردد على المسجد خمس مرات في اليوم فاشهدوا له بالإيمان».

وظيفة الصلاة في حياة المسلم:

١) تظهر آثار هذه الوظيفة في حياة المسلم في هذا الحديث الشريف الذي رواه الشيخان «البخاري ومسلم»- رضي الله عنهما- عن «أبي هريرة» أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً، ما تقول ذلك يُبْقِي من درنه؟» قالوا:«لا يبقى من درنه شيئاً» قال:«فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله به الخطايا».

٢) حديث «أبي هريرة» عن النبي ﷺ قال:«من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً من الجنة كلما غدا أو راح» متفق عليه.

٣) الحديث القدسي «ما تقرب إليّ عبدي بأفضل مما افترضته عليه، ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وكنت بصره الذي يبصر به، وكنت يده التي يبطش بها، وكنت رِجْله التي يسعى بها، ولئن سألني لأعطينه، ولإن استعاذ بي لأعيذنه» رواه الإمام مسلم عن «أبي هريرة».

٤) «أرحنا بالصلاة يا «بلال»، جعلت قرة عيني في الصلاة. رواه النسائي والحاكم وأحمد.

ومن هنا فإن الله ﷻ ألزم المسلمين بإقامة الصلاة في جميع الأحوال على الوجه الذي يتناسب مع كل حالة قال الله ﷻ:﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء:١٠١-١٠٣].

ولأن الصلاة بصورها التي تؤدَّي بها هي العلامة المميزة الوحيدة التي يُعْرَف بها المسلم من غير المسلم، وكل الفرائض بعدها يمكن أن تكون بين المسلم وغيره، فقد

شدد الله النكير على من يفرط فيها، أو يتهاون في إقامتها في قوله ﷻ: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ۝ ﴾ [القيامة:٣١-٣٥].

وهدد غير المصلين وتوعدهم بقوله:

﴿ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝ ﴾ [المدثر:٣٨-٤٨].

من فوائد الصلاة:

تكلم في هذا الموضوع من هو أعلم مني، وهو الأستاذ الجليل الدكتور «محمد عثمان نجاتي» أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة سابقاً - رحمه الله- رحمة واسعة في كتابيه القيمين «القرآن وعلم النفس» و«الحديث وعلم النفس»، والاثنان أصدرتهما «دار الشروق» بالقاهرة ١٦ شارع جواد حسني قال ما خلاصته:

«يشير اسم الصلاة إلى أن فيها صلة بين الإنسان وربه ففي الصلاة يقف الإنسان في خشوع وتضرع بين يدي الله ﷻ خالقه وخالق الكون كله.

ويقف بجسمه الضئيل الضعيف أمام الإله العظيم القادر على كل شئ، المتحكم في كل ذرة في الوجود، المدبر الأمر في السموات والأرض، الذي بيده الحياة والموت والموزع الأرزاق بين الناس، والذي يتم بأمره القضاء والقدر، وكل ما يصيبنا في هذه الحياة من خير أو شر. فيتحقق للإنسان ما يأتي:

١) يمده الله ﷻ بطاقة روحية تبعث فيه الشعور بالصفاء الروحي والاطمئنان القلبي.

٢) وقوفه بين يدي الله ﷻ بهذا الخشوع يبعث فيه حالة من الاسترخاء التام وهدوء النفس وراحة العقل.

٣) هذا الاسترخاء له أثره العلاجي في تخفيف حدة التوترات العصبية الناشئة عن ضغوط الحياة اليومية. وفي خفض القلق الذي يعاني منه بعض الناس.

٤) فهبة الصلاة خبرة في الاسترخاء الذي يؤتي ثماره وأولها الراحة النفسية وفيها حديث «أرحنا بالصلاة يا بلال».

٥) تعالج القلق النفسي.

٦) تساعد الإنسان على التخلص من القلق بتكوين ارتباط شرطي جديد بين هذه المشكلات وحالة الاسترخاء. فإن مجرد إفضاء الإنسان بمشكلاته وهمومه والتعبير عنها يسبب له راحة نفسية فإن يبوح بأسباب قلقه لله رب العالمين!!!

٧) تجدد للمسلم حيويته دائماً فيواصل مسيرته الحياتية بكفاءة ونجاح، وتجدد لديه الأمل الذي يحدوه للوصول إلى أهدافه في الحياة.

٨) وأما الوضوء وهو شرط لصحة الصلاة يلعب دوراً جميلاً في حياة المسلم فيقول أستاذنا الكبير بالحرف الواحد:

«ثم إن الوضوء استعداداً للصلاة ليس تطهيراً للجسم فقط مما علق به من أوساخ وأدران، وإنما هو أيضاً تطهير للنفس من أوساخها وأدرانها، فالوضوء إذا ما أُدِّيَ كما ينبغي يشعر المؤمن بالنظافة البدنية والنفسية معاً، ويشعره أنه تطهر من أدران أخطائه وذنوبه، وفي الحديث عن «أبي هريرة»-رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال:«إذا توضأ العبد المسلم، أو المؤمن، فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطرة ماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطرة ماء، فإذا غسل رِجْليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطرة ماء يخرج نقياً من الذنوب» الحديث رقم ﴿٢﴾ مختصر صحيح مسلم.

وإن هذا الشعور بالطهارة البدنية والنفسية يهيئ الإنسان للاتصال الروحي بالله ﷻ . والدخول في حالة الاسترخاء الجسمي والنفسي للوضوء. فإن له أيضاً تأثيراً فسيولوجياً أشار إليه من قبل بعض الكُتّاب والأطباء، إذ تبين أن الاغتسال بالماء خمس مرات يومياً وعلى فترات معينة من العمل اليومي إنما يساعد على استرخاء العضلات، وتخفيف حدة التوتر البدني والنفسي.

ولذلك أوصى النبي ﷺ بالوضوء إذا غضب الإنسان فقد قال ﷺ:«**إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خُلِقَ من النار وإنما تُطْفأ النار بالماء، فإن غضب أحدكم فليتوضأ**» رواه أبو داود. الحديث رقم ﴿٤٧٨٤﴾ انتهى كلام الدكتور «محمد عثمان نجاتي».

ومن أجل ذلك نرى سيدنا رسول الله ﷺ يهتم بالصلاة ويداوم الاحتفاء بها، ويداوم التوصية بإقامتها حتى ليشعر المسلم أنها الإسلام كله.

عن «عبادة بن الصامت»-ﷺ- قال: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول:«خمس صلوات افترضهن الله ﷻ، مَن أحسن وضوءهن، وصلاَّهن لوقتهن، وأتمَّ ركوعهن وسجودهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له، ومَن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه» رواه الإمام مالك وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه.

وبعد أن علمنا ما تحتويه الصلاة، وعلمنا الثمرات الطيبة التي يجنيها المسلم الذي يقيمها من السلام النفسي، وحلاوة الإيمان، وغفران الذنوب، وقبول الأعمال، وطهارة الجسد، وطهارة الروح، وانفتاح الطريق إلى الله ﷻ، والتلذذ بالقرب منه، تتعاطى معاً هذه العطايا الإلهية، والمنح الربانية، والإشراقات القدسية التي تتلألأ على كلمات هذين الحديثين القدسيين.

الحديث الأول: يقول الله ﷻ ما معناه:«**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل، يقول عبدي:«الحمد لله رب العالمين» فأقول:«حمدني عبدي**

ولعبدي ما سأل»، ويقول عبدي:«الرحمن الرحيم» فأقول:«أثنى عليّ عبدي ولعبدي ما سأل»، ويقول عبدي:«مالك يوم الدين» فأقول:«مجّدني عبدي ولعبدي ما سأل»، ويقول عبدي:«إياك نعبد وإياك نستعين» فأقول:«هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل»، ويقول عبدي:«اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين» فأقول:«هذه لعبدي ولعبدي ما سأل».

حدثني بربك أيها القارئ الكريم وأنت أيتها القارئة الكريمة هل تعلمان أحداً على وجه الأرض أُتيح له أن يتملك في يده مفتاحاً يفتح به خطاً مباشراً بينه وبين الله ﷻ خمس مرات في اليوم فرضاً وما شاء هو نفلاً غير المسلم؟

هل حظي بهذا العطاء الإلهي العظيم غير المسلم؟

أعرف إجابتكما فإنها تتفجر في قلبي يقيناً يقول:

«الحمد لله! لم يعط هذا العطاء إلا المسلم فقط، لقد حبا الله المسلم بهذا العطاء ليكون قريباً منه على الدوام يحميه من الغوائل، ويحرسه من أعدائه المتربصين به من الشياطين، ويواليه بما هو في حاجة إليه، ويحصنه من كل شر يحاول الإضرار به، ويأخذ بيده إلى طريق الحق وإلى الصراط المستقيم، يراه الناس هادياً مهدياً، وراضياً مرضياً، ويجدونه دائماً في عمله موفقاً، وفي تعامله مع غيره رشيداً، وفي تجارته رابحاً، وفي علمه ناجحاً، وفي رأيه حكيماً، وفي وسطهم مضيئاً، فتتعلق قلوبهم به، وتزيد ثقتهم فيه، فيعطيهم ويأخذ منهم في رفق ومحبة وذلك فضل الله وفضل الله عظيم.

الحديث الثاني:

عن سيدنا «عبد الله بن عباس»- رضي الله عنهما- قال:قال رسول الله ﷺ:«**إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي ولم يبت مُصراً على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس أكلؤه بعزتي، واستحفظه ملائكتي، أجعل له في**

الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة» رواه «البزّار» من رواية «عبد الله بن واقد الحراني» وبقية رواته ثقات.

التواضع، والتوبة، وذكر الله، والرحمة، والنور في الوجه، والحفظ الإلهي، ونور البصيرة، والعناية والتوفيق في الأقوال والأفعال، وعلو الدرجات. كل هذه العطايا الربانية ثمرات يانعة تفيح عبيراً على شجرة الصلاة الباسقة، فمن وفقه الله للصلاة على وجهها المطلوب شرعاً يجن هذه الثمرات يانعة طيبة، ويفرح بها، ويسعد بجناها الطيب، ويفز بسعادة الدارين. وذلك هو الفوز العظيم.

والآن وقد وضعنا أبصارنا وبصائرنا وأيدينا على بعض ثمرات الصلاة المتدلية في تألق على شجرتها وضمن أركانها السجود لله، تعالوا بنا نتعرف على قيمتها عند عدونا الذي يتربص بنا الدوائر، ويقعد لنا الصراط المستقيم، فبهذه المعرفة تنكشف لنا أسرارها..، فنحافظ عليها، ونبذل كل جهد في سبيل حمايتها من عبث هذا العدو وكيده.

جاء في صحيح مسلم عن «أبي هريرة»-ﷺ- عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال:«**إذا قرأ ابن آدم السجدة وسجد اعتزل إبليس يبكي ويقول يا ويلي أُمِرَ ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأُمرت بالسجود فأبيت فلي النار**».

انظر إلى هذه الحسرة التي يعاني منها إبليس عندما يراك ساجداً لله رب العالمين، وتَذكَّر حسده وحقده على بني آدم وأنت وأنا وهو وهي منهم، وأجبني عن هذا السؤال، ماذا تنتظر من هذا العدو الحاقد أن يفعل بك؟

هل يأتي ليهنئك على هذا الحصاد الجميل والخير الوفير والعطاء الجزيل، والوصل الجميل من الله ﷻ؟

هل هو يشجعك على مواصلة الجهد في إقامة هذه الصلاة والمداومة عليها؟

قبل أن تجيبني على هذين السؤالين عُد إلى القرآن الكريم واقرأ قوله ﷻ:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ۝ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝ ﴾ [الأعراف:١١-١٧].

واقرأ كذلك هذا التحذير الصادر عن الله ﷻ لبني آدم جميعاً ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف:٢٧].

فبعد قراءتك لهذه الآيات ستكون إجابتك الصحيحة أنك تنتظر الشر من هذا العدو اللدود. والشر في الحالة الماثلة يتمثل في إفساد صلاتك عليك ويتم ذلك منه بالوسوسة عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

يوسوس لك في الصلاة فيفسدها، فإذا أقمتها ثانية حال بينك وبين إتمامها بوسوسته أيضاً وطاوعته أنت مرة أخرى وثالثة حتى تمل وتبعد عنها..، فيتمكن من حفر حفرة في قلبك يرقد لك فيها، ويرسل في وجدانك إرسالاته الهدامة، حتى يحطم قلعة الإيمان في قلبك فتجد نفسك مكتئباً تلعن نفسك وتشتم الصلاة، وتكره الدين وما زال معك على هذه الحالة حتى تسخط على قضاء الله، وهو لا يقنع منك بغير ذلك لأنه الكفر الذي يجرك إليه والعياذ بالله.

والمطلوب منك أن تأخذ حذرك من أول لحظة يحاول فيها هذا اللعين أن يفسد عليك صلاتك. فإنك لن تتكلف كثيراً إذا بادرت إلى مواجهته عند أول محاولة منه..، وأولى المبادرات أن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم..، فما هو العلاج إذن؟

نجيب على هذا السؤال إن شاء الله تعالى في الفصل الثالث **فإلى هناك**....


الفصل الثالث
الشفاء
من
مرض الوسوسة

الفصل الثالث

الشفاء من مرض الوسوسة

أتفق مع الأخ الفاضل الدكتور «وائل أبو هندي» فيما ورد بكتابه القيم «الوسواس القهري» من منظور عربي إسلامي ص ﴿٦٦﴾ بعد أن شرح حالة مريض بهذا المرض الذي يقتل في الذي يبتلي به المبادرة، ويقهر فيه الثقة بالنفس ويحيله إلى مجموعة من الخيوط الرخوة، أو إلى ذرات من العهن المنفوش، أو إلى نسيج من العنكبوت وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت فقال:

«وتتضح في هذه الحالة أفكار الشك التسلطية، ولكنه شك يتعلق بتنفيذ الشعائر الدينية، كما يتضح فيها عَرَضٌ آخر يعتبر نتيجة منطقية إلى حد ما لفكرة الشك التسلطية وهو تكرار الشَعِيرة بشكل مبالغ فيه- حيث كان يكرر قراءة الفاتحة في الصلاة عدة مرات، ويكرر السورة التي يقرأها عدة مرات أيضاً حتى مَلَّ من ذلك وطلب من الله الموت- قال الدكتور وائل:«وأنا أعتبر الوضوء المتكرر طقس نظافة قهرياً وإن كان الكثيرون يعتبرونه طقساً دينياً، وأستند في رأيي هذا إلى أن محتوى الوضوء ليس إلا التنظيف الخارجي للجسد والتزين لمقابلة المولى ﷻ. وهو ما يحرص عليه كل مسلم، ولم نسمع مثلاً بمن يطوف حول الكعبة أو ما بين الصفا والمروة سبعين مرة. لكي يتأكد أنه طاف. وهذا هو ما لو حدث لاعتبرته أنا فعلاً قهرياً دينياً، ويتضح في الحالة أيضاً ما يُسمى بـــ«البطء الوسواس». حيث يمضي وقتاً طويلاً في الصلاة من دون أن يستطيع التركيز فيها ثم يتضح مدى القلق والمعاناة اللذين يعيش فيهما هذا المريض وكيف أصبح واقفاً على باب الاكتئاب عافانا الله منه»

أتفق معه تماماً في تشخيصه لحالة هذا الشخص بأنها حالة مرضـــية..، وأختلـــف معه- وأرجو أن يسمح لي بذلك- في اعتبار الوضوء المتكرر طقس نظافة قهرياً حيث

أبي أعتبره طقساً دينياً، ذلك لأن الوضوء لا يُنْظَر إليه على أنه للنظافة فقط، وإنما هو في الغالب يُعد امتحاناً للمسلم في الامتثال لأوامر الله ﷻ، وإلا بماذا نفسر وجوب المسح بربع الرأس الذي يصل أحياناً إلى مجرد بَلّ شعرات قليلة من مقدمة الرأس، وهذا يجزي عند كثير من الفقهاء بل منهم مَن نقل عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه كان يكتفي ببل جزء بسيط من طرف العمامة!؟

هل بَلّ ربع الرأس يكفي ليكون نظافة للرأس يا سيدي؟؟!!

إذن هناك عمق روحي ودلالة روحية للوضوء لا يكون الحكم عليه صحيحاً إلا بوضعهما في الاعتبار.

ولقد صدق أستاذنا الدكتور «محمد عثمان نجاتي»- رحمه الله- رحمة واسعة عندما ذكر في كتابيه الأغرين «القرآن وعلم النفس» و«الحديث النبوي وعلم النفس» الأول في ص ﴿٢٧١﴾ والثاني ص ﴿٣١٧﴾

«ثم إن الوضوء استعداد للصلاة ليس تطهيراً للجسم فقط مما علق به من أوساخ وأدران، وإنما هو أيضاً تطهير للنفس من أوساخها وأدرانها، فالوضوء إذا ما أُدِّي كما ينبغي، يشعر المؤمن بالنظافة البدنية والنفسية معاً ويشعره أنه تطهر من أدران أخطائه وذنوبه»

وفي الحديث عن «أبي هريرة»- ﷺ - أن سيدنا رسول الله ﷺ قال:«إذا توضأ العبد المسلم، أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطرة ماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطرة ماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رِجلاه مع الماء أو مع آخر قطرة ماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب». رواه الإمام مسلم. وإن هذا الشعور بالطهارة البدنية والنفسية يهيئ الإنسان للاتصال الروحي بالله ﷻ. والدخول في حالة الاسترخاء الجسمي والنفسي أثناء الصلاة.

ولذلك أوصى النبي ﷺ بالوضوء إذا غضب الإنسان. فقد قال ﷺ:«إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، وإنما تُطْفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» الحديث ﴿٤٧٨٤﴾ من سنن «أبي داود» ج ٣ ص {٢٤٩}

وإذن وإن كان الوضوء فيه يستعمل الماء فيثمر النظافة البدنية إلا أن جوهره طهارة روحية، فهو مردوده الروحي على الإنسان المسلم أعظم من مردوده الحسّي. ومن هنا فهو إلى الطقس الديني أقرب منه إلى طقس النظافة الحسية. والله أعلى وأعلم.

من هنا تبين أن الوسواس الذي نحن بصدده يصيب النفس والروح، فهو مرض من أمراضهما.

ولما كان الإنسان وحده يجمع بين عنصرين هما الجسم والروح، والدليل على ذلك قول مَن خَلَقَ الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد الذي قال: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [ص:٧١-٧٢].

فإن غذاء الجسم وعلاجه يكون من حيث خلق أي من الطين في الأرض، وأما غذاء الروح ودواءها من حيث خلقت، من حيث أمر الله ﷻ:

قال الله ﷻ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

وإذن فدواء مرض الوسواس كامن فيما يتصل بالروح بسبب، ويكون هو الدواء الناجع الذي به يتحقق الشفاء برحمة الله ﷻ.

وأول ما يرد على الخاطر: القرآن الكريم.

والثاني: الذكر.

والثالث: الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله.

والرابع: الدعاء

المبحث الأول
القرآن الكريم

القرآن الكريم روح:

قال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

ومن ثَمَّ فإن هذا القرآن الكريم شفاء من كل الأمراض النفسية والبدنية التي تصيب الإنسان وهذه هي النصوص الدالة على ذلك:

١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٧-٥٨].

يقول الإمام «القرطبي» في تفسيره: ﴿ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ أي من الشك والنفاق والخلاف والشقاق..، ﴿ وَهُدًى ﴾ أي ورشداً لمن اتبعه..، ﴿ وَرَحْمَةٌ ﴾ أي نعمة..، ﴿ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ خصهم لأنهم المنتفعون بالإيمان.والكل صفات القرآن والعطف لتأكيد المدح.

قوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨].

قال «أبو سعيد الخدري» و«ابن عباس»- رضي الله عنهما-: «فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام»، وعنهما أيضاً: «فضل الله القرآن، ورحمته أن جعلكم من أهله».

﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ إشارة إلى الفضل والرحمة، والعرب تأتي ﴿ فَبِذَٰلِكَ ﴾ للواحد والاثنين والجمع، وروى عن النبي ﷺ أنه قرأ ﴿ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾ بالتاء، وهي قراءة «يزيد بن القعقاع» و«يعقوب» وغيرهما. والفرح لذة في القلب بإدراك المحبوب.

٢) ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء:٨٢].

يقول الإمام «ابن كثير» في تفسير هذه الآية يقول ﷻ مخبراً عن كتابه الذي أنزله على رسوله «محمد» ﷺ وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، إنه شفاء ورحمة للمؤمنين أي يُذهب ما في القلوب من شك ونفاق وشرك وزيغ وميل، فالقرآن يشفي من ذلك كله..، وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الإيمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به وصدقه واتبعه، فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة، وأما الكافر الظالم نفسه وذلك فلا يزيده سماعه القرآن إلا بعداً وكفراً والآفة من الكافر لا من القرآن.

٣) ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [فصلت:٤٤].

يقول الإمام «ابن كثير» في تفسير هذه الآية: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ أي قل يا «محمد» هذا القرآن لمن آمن به هدى لقلبه وشفاء لما في الصدور من الشكوك والريب.

نصوص الأحاديث الشريفة:

عن «أبي هريرة»-رضي الله عنه- قال: وكّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت:«لأرفعنك إلى رسول الله»، قال:«إني محتاج، وعليّ دَيْن وعيال، ولي حاجة شديدة»، فخليت عنه فأصبحت فقال النبي ﷺ:

«يا «أبا هريرة»!! ما فعل أسيرك البارحة؟» قال: قلت:«يا رسول الله شكا حاجة شديدة، وعيالاً فرحمته، فخليت سبيله»، قال:«أما إنه قد كذبك وسيعود»، فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو الطعام وذكر الحديث إلى أن قال:«فأخذته»، يعني في الثالثة فقلت:«لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات، تزعم أنك لا تعود ثم تعود»، قال:«دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها»، قلت:«ما هن؟»، قال:«إذا أويت إلى فراشك فاقرأ «آية الكرسي» ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حتى تختم الآية، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان حتى تصبح»، فخليت سبيله فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟»، قلت: «يا رسول الله زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله»، قال:«ما هي؟»، قلت:«قال لي إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية، وقال لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شئ على الخير»، فقال النبي ﷺ:«أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا «أبا هريرة»؟» قال:«لا»، قال:«ذاك الشيطان». رواه البخاري وابن خزيمة وغيرهما ورواه الترمذي وغيره من حديث أبي أيوب بنحوه. ورواه الإمام البخاري بسنده عن «محمد بن سيرين».

وهذه هي آية الكرسي:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

روى النسائي أن سيدنا «أبا ذر الغفاري»-رضي الله عنه- سأل سيدنا رسول الله فقال:«أي ما أنزل عليك أعظم؟» قال ﷺ:«آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم».

يقول الإمام «ابن كثير» في تفسير هذه الآية:

هذه الآية مشتملة على عشر جمل مستقلة:

١) فقوله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إخبار بأنه المتفرد بالألوهية لجميع الخلائق.

٢) ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ أي الحي في نفسه الذي لا يموت أبداً القيم لغيره. وكان عمر يقرأ القيام فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها بدون أمره.

٣) وقوله: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شئ، لا يغيب عنه شئ، ولا تخفى عليه خافية، وفي الصحيح عن «أبي موسى» قال:قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال:«**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل النهار قبل عمل الليل، وعمل الليل قبل عمل النهار، حجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**».

٤) وقوله: ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ إخبار بأن الجميع عبيده في ملكه وتحت قهره وسلطانه.

٥) وقوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ كقوله: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم:٢٦]، وكقوله: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء:٢٨]، وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه ﷻ أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة كما في حديث الشفاعة «آتي تحت العرش، فأخر ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال:«ارفع رأسك، وقل تُسمع، واشفع تُشفَّع»، قال: فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة.

٦) وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ دليل على إحاطة علمه بجميع الكائنات.

٧) وقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ أي لا يطلع أحد من الله على شئ إلا بما أعلمه الله ﷻ وأطلعه عليه.

٨) وقوله: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ عن «ابن عباس» - رضي الله عنهما - قال: «علمه».

٩) وقوله: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ أي: لا يثقله ولا يكرثه حفظ السموات والأرض ومَن فيهما ومَن بينهما، بل ذلك سهل عليه، يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على كل الأشياء، فلا يعزب عنه شئ، ولا يغيب عنه شئ، والأشياء كلها حقيرة بين يديه، متواضعة ذليلة صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة، وهو الغني الحميد، الفعَّال لما يريد، الذي لا يُسْأل عما يفعل وهم يُسْألون.

١٠) ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ كقوله: ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد:٩].

فأنت رأيت هذه الآية كيف حفظت سيدنا «أبا هريرة»، والجدير بالذكر أن هناك روايات تثبت حدوث هذه التجربة بوقائعها لغيره من الصحابة، وكلها تنم عما تنطوي عليه الآية الكريمة من الأسرار، فلا بأس من أن يتخذها الذي يتعرض لوسوسة الشيطان، ورْداً له يقرأها عندما يأوي لفراشه للنوم، فإنها تحرق بنورها وساوس الشيطان وتقهره فلا يعود إليه مرة أخرى.

٢) ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝ ﴾ [آل عمران:٨-٩].

ولكي نفهم معنى الآيتين لا بد لنا من فهم الآية قبلهما التي تتحدث عن القرآن وما فيه من آيات محكمات هن أم الكتاب، وأخر متشابهات، ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾، وقد

حذرنا سيدنا رسول الله ﷺ من أن نكون مثلهم بعد أن سماهم الله، ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾ وهم ﴿ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ أي أصحاب العقول المضيئة، والقلوب المبصرة. فهم عندما يرون بالمتشابه يسلّمون لله ﷻ أمر تأويله لأنه هو وحده الذي يعلم حقيقته، لأنه هو وحده الذي أنزله على أشرف الخلق سيدنا «محمد» ﷺ، فهو وحده الذي يعلم تأويله، وعندئذٍ وبعد وضوح استقلال الله ﷻ بعلم تأويل المتشابه يجأرونs لله ﷻ بهذا الدعاء والثناء عليه في الآيتين ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩ ﴾ [آل عمران:٨-٩].

ومن الدعاء المأثور: «اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

يقول الإمام «ابن كثير» في تفسير هذه الآية:

يقال: الراسخون في العلم المتواضعون لله، المتذللون لله في مرضاته لا يتعاظمون على من فوقهم، ولا يحقرون من دونهم، ثم قال ﷻ عنهم مخبراً أنهم دعوا ربهم قائلين: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا ﴾ أي لا تُمِلْها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه، ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ الذين يتبعون ما تشابه من القرآن، ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم ودينك القويم، ﴿ وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً ﴾ تثبت بها قلوبنا، وتجمع شملنا وتزيدنا بها إيماناً وإيقاناً، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾.

قال «ابن أبي حاتم» حدثنا «عمرو بن عبد الله الأودي» وقال «ابن جرير» حدثنا «أبو كريب» قالا جميعاً حدثنا «وكيع» عن «عبد الحميد بن بهرام» عن «شهر بن حوشب» عن «أم سلمة»- رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان يقول: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، ثم قرأ ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨]، ورواه «ابن مردوية» من طريق «محمد بن بكار» عن «عبد الحميد بن بهرام» عن «شهر بن حوشب» عن «أم

سلمة» عن «أسماء بنت يزيد بن السكن» سمعتها تحدث أن رسول الله ﷺ كان يكثر من دعائه «اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، قالت:قلت:«يا رسول الله وإن القلوب لتتقلب؟» قال:«نعم. ما خلق الله من بني آدم من بشر إلا أن قلبه بين إصبعين من إصبع الله ﷻ فإن شاء أقامه وإن شاء أزاغه».

فنسأل الله ربنا ألا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، وزادت بعض الروايات قالت:«يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي؟» قال:«بلى. قولي اللهم رب «محمد» النبي اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي، وأجرني من مضلات الفتن».

إن قراءة القرآن تمد الإنسان بطاقة روحية هي الأعلى من أية طاقة، وهي تساعده على التغلب على وساوس الشيطان، وتجعل منه شخصية قوية، سوية لا تعرف الضعف والخوار، ولا تخضع لكيد الشيطان ولا غرو فالمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

وأنت تجد في هاتين الآيتين دعاء لله ﷻ صادراً من فئة خصَّها الله بالتفوق العلمي، والتميز في تعاطيه استكملوا وسائل تحصيله، وحازوا فيه من الدرجات ما نوَّه الله بها، وأعلى قدرها، فوصفهم بالراسخين في العلم..، فهم بعد أن تحققوا وتثبتوا، وامتلأت عقولهم علماً، وأترعت قلوبهم بالمعرفة، تكشفت أمامهم الحقيقة التي أضاءت أبصارهم وبصائرهم فأدركوا أنهم في حاجة إلى الله ﷻ، ليثبت هذا العلم وهذه المعرفة، وهذه الحكمة في قلوبهم، لتدوم بهذه الكنوز فرحتهم، وتتحقق بمعونة الله لهم سعادتهم. فلجأوا في صدق إليه داعين إياه ألا يزيغ قلوبهم عن هذا الهدى الذي وجدوا حلاوته في قلوبهم.

وهكذا أنت ترى أن القرآن يمد الإنسان بطاقة روحية تمكنه من المحافظة على حُسن مسيرته مع الله ﷻ الذي يكلؤه برعايته، ويلحظه بعنايته ويهديه بهدايته.

فقراءة القرآن تولد لدى الإنسان شعوراً بأنه دائماً في حاجة إلى الله ﷻ، وهذه الحاجة إلى الله مستمرة، لا يستطيع الاستغناء عنه في أية لحظة من لحظات حياته ولا في أي شأن من شئونه..، دائماً يقول «يا رب».

يقول الأستاذ الدكتور «مقداد يالجن» في الفصل الثالث من كتاب «علم النفس التربوي في الإسلام» «دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع» في «الرياض» ص﴿٣١٦﴾.

«ذلك أن هذا الشعور في جميع الحالات: في حالة الصحة والمرض وفي حالة الغنى والفقر، يجعل الإنسان مرتبطاً بالله دائماً، كما يجعل صلته بالله صلة روحية بحيث لا يستطيع الاستغناء عنها بأي حالة من الحالات. لأنه إذا شعر الإنسان بالاستغناء توقفت صلته بالله وتجمدت الحياة الروحية وهذا سبب لافتقاد الحياة الروحية».

«نأخذ مثالاً طيباً يوضح لنا هذه الحقيقة: يمدنا به القرآن الكريم في نبأ نبي الله «سليمان بن داود»- عليهما السلام-، فقد منحه الله ﷻ النبوة والمُلك، وسخَّر له الريح وأخضع له الجن وعلمه منطق الطير..، وأخضع له الملوك في عصره، وقد لخص ذلك كله القرآن الكريم في الآيات: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [النمل:١٥-١٨].

من فوق هذه الربوة الإيمانية السامقة، استعرض سيدنا «سليمان»-عليه السلام- النبي الملك المسيطر على إنس وجن، وحيوان وطير، وحشرات، ووزع نِعَم الله عليه

فوجدها أجلَّ من أن تُقدَّر، وأكثر من أن تُحصى، سواء منها ما ظهر وما بطن، فوجد أن واحدة من هذه النعم لو تملكت من قلب إنسان عادي لشغلته عن الله، وأصابته بالغرور فسارع إلى الاعتراف في داخله بأنه في حاجة إلى الله ﷻ أن يلهمه شكره له على هذه الآلاء والنعم، وأن يدفعه إلى العمل الصالح الذي يرضاه ﷻ ويرضى به عنه وأن يدخله برحمته لا بعمله في عباده الصالحين

إنه يشعرنا أنه ما زال في حاجة إلى ﷻ، وإن تكاملت عليه النعم في هذا النظم الجميل الجليل، النبوة، الملك، خضوع الإنس، وخضوع الجن، السلطان، علم لغات الحيوان والطير، والجن، والحشرات، سلطانه على الريح والهواء، كل هذا الملك والملكوت، ومع كل ذلك فما زال في حاجة إلى الله، يطلب منه العون والمدد في خشوع وتضرع مثلما يفعل الشخص المحروم من هذه النعم تماماً بتمام بنفس اللهفة، وبنفس الإلحاح

كنت في أيام الصبا أُدهش من تكليف الله ﷻ للمؤمنين بتلاوة القرآن الكـــريم، وبوعده لهم بالثواب العظيم إذا ما امتثلوا لأمره وانكبوا عليه يتلونه آناء الليل وأطراف النهار

وكنت أُدهش عندما أجد سيدنا رسول الله ﷺ يحض المسلمين على تلاوة هذا الكتاب العظيم وينبههم إلى ما يدخره الله ﷻ لمن يتلونه حق تلاوته، فلما تقدمت في السن، ووفقني الله ﷻ إلى الإلمام ببعض المعارف واليسير من العلم، انكشفت أمامي بعض الأشعة التي تسطع من الحكمة وراء هذه الأحكام إذ تبينت بنور الله أن القرآن إذا صاحبه الإنسان وصاحب هو الإنسان، كان في أنس دائم يذهب وحشته وفي حصانة دائمة لا يتطلع الشيطان لاقتحامها عليه

وإني أسعد وأُسعد معي القراء الكرام، بذكر بعض النصوص من القرآن الكريم والحديث الشريف المتضمنة لهذه الأحكام

أولا من القرآن الكريم:

١) ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فاطر:٢٩-٣٥]

٢) ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء:٧٨-٧٩].

٣) ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان:٣٠]

٤) ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [النمل:٩١-٩٣].

٥) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ [المزمل:١-٤].

٦) ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴾ [المزمل: ٢٠].

فأنت ترى في الآية الأخيرة أن قراءة القرآن إذا قام بها المسلم منفردة كانت تطوعاً ولكنه ﷻ وضعها في التكليف بجوار الصلاة والزكاة وهما فرضان وركنان من أركان الإسلام. مما يستفاد منه أن المداومة على تلاوة القرآن آناء الليل وأطراف النهار جزء لا يتجزأ من جوهر هذا الدين الحنيف، ولا غرو فإن المداومة عليها ترقق الشعور وتهذب الوجدان وتصقل الروح، وتستأصل وازع الشر من قلوب الساهرين عليه التالين له، وتروى في هذه القلوب شجرة الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهى شجرة الإسلام التي من فروعها الخير والحق والحب والجمال.

كثيرا ما يضرب الله ﷻ المثل للقرآن بالماء يتزله من السماء فيحي به الأرض بعد موتها ووالله إن القرآن الكريم ليفعل في القلوب ما يفعله الماء في الأرض، يتزل عليها فيحي فيها أعواد الإيمان فتزدهر وتثمر، وما ثمراتها إلا السكينة واليقين، والطمأنينة، والتكامل الأخلاقي والشخصي والسلام النفسي، والوقار، وكل ذلك وغيره من صفات الخير والبرّ ما هو إلا نتاج الحبّ الذي يفيض في قلب التالي للقرآن حبا لله وحباً لسيدنا رسول الله ﷺ، وحبا للمسلمين أجمعين حباً شجرته تتوغل جذورها في عمق التاريخ لأهل بيت سيدنا رسول الله ﷺ تبارك وتعالى عليه وعليهم وسلم تسليماً كثيراً، ويصله بصحابته الكرام من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان وللمسلمين

في الحاضر والمستقبل من الزمان حتى تقوم القيامة، وهكذا تلتقي الأرواح في قلب التالي للقرآن الكريم لقاء الأزل مع الأبد، لقاء الأول مع الآخر يتعرف عليها ويتصل بها، اتصال القطرة في البحر المحيط فلا هي منزوعة عنه ولا هو بعيد عنها، تصير هذه القطرة بالبحر بحراً، ويصبح هذا البحر قطرة في ملكوت رب العالمين يسجد له مع الساجدين، يذوب قلب التالي للقرآن الكريم في هذا البحر الخضم فتذوب أحزانه وتذوب أشجانه وتذوب أفراحه ويستوي عنده الأخذ والعطاء، والبعد والقرب، والحزن والسرور، والضحك والبكاء وتستوي عنده الظلمة والنور لأن كل هذا يغيب عنه حيث هو في حضرة الحق ﷻ ماثل بين يديه والله هو الحاضر الذي لا يغيب.

قد شغل قلبه بأنوار الله، وانمحت كل الحجب التي تحجبه عنه، وولت عنه كل الشواغل التي تشغله عن سيده، فهو لا يشغله إلا رضاه، ولا يهتم إلا بعفوه، ولا ينشد إلا كرمه... فأصبح يعبده كأنه يراه، فإن لم يكن يراه فإنه يراه.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، ولا تحرمنا يا ربنا من تلاوة القرآن، واخلع علينا خلع الرضوان، واحفظنا بفضلك وإحسانك من شرور الأنس والجان.

آمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا «محمد» النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم

ثانيا من الحديث الشريف

١) عن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ: عن سيدنا رسول الله ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**». رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وغيرهم

٢) عن سيدنا «عبد الله بن مسعود» -ﷺ- وأرضاه عن سيدنا رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ حرف من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**» رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب.

٣) عن سيدنا «أبي هريرة» - ﷺ- وأرضاه أن سيدنا رسول الله ﷺ قال: « **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**». رواه مسلم وأبو داود وغيرهما

٤) عن «أبي الأشعري» - ﷺ- قال: قال رسول الله ﷺ:

« **مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به مثل الأترجّة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب، وطعمها مرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مرّ** » رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة.

٥) عن أم المؤمنين سيدتنا عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ:

« **الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرؤه وهو يشتد عليه له أجران**» رواه البخاري ومسلم واللفظ له وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة.

٦) عن «أبي سعيد الخدْري» ﷺ أن «أُسَيْد بن حُضَير» بينما هو في ليلة يقرأ في مربده إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرى، فقرأ ثم جالت أخرى أيضا، قال «أسيد»: فخشيت أن تطأ «يحيى» فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي، فيها أمثال السرج عرجت في الجوّ، حتى ما أراها قال: فغدوت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مربدي إذ جالت فرسي فقال

رسول الله ﷺ: اقرأ «ابن حضير» قال فقرأت ثم جالت أيضاً فقال رسول الله ﷺ اقرأ «ابن حضير»!! قال: فقرأت ثم جالت أيضاً ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأ «ابن حضير». قال: فانصرفت وكان «يحيى» قريباً منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج، خرجت في الجوّ حتى ما أراها. فقال رسول الله ﷺ تلك الملائكة تستمع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم. رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

٧) وعن «عبد الله» يعني «ابن مسعود» ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن هذا القرآن مأدبة الله، فاقبلوا مأدبتهُ ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، لا يزيغ فليستعتب ولا يَعْوَجَ فُيقَوّم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق عن كثرة الرد، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته، كل حرف عشر حسنات، أما أني لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**». رواه الحاكم.

كل هذه الأحاديث الشريفة ترغب المسلم في تلاوة القرآن الكريم، وتبصره بمزايا هذه التلاوة، وتذكر فوائدها التي تعود عليه من الالتزام بها، ولا شك أن وراء ذلك حكمة يتغيّاها سيدنا رسول الله ﷺ، ولعل من ضمنها أن يعمق في وجدان المسلم الشعور بحاجته إلى الله ﷻ في كل شأن من شئون حياته وفي كل لحظة من لحظاتها، وأنه لا يملك أحد من أمره شيئاً إلا الله، فهو ﷻ مالكه وملكه ومليكه، وهو وحده الذي خلقه فهو يهديه وهو وحده الذي يرزقه، وهو وحده الذي يطعمه إذا جاع، وهو الذي يشفيه إذا مرض، والمسلم دائماً على ملة أبيه « إبراهيم » عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وهو الذي جاءنا القرآن الكريم بتنبئنا عن عقيدته في قول الله ﷻ:

١) ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٢].

ولنعد إلى ذكر بعض الآيات الشافية من مرض الوسوسة الشيطانية:

٢) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

قال الإمام «ابن كثير» في تفسير هذا الآيات:

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده فقال البخاري رحمة الله: حدثنا «سعيد بن مريم» حدثنا «محمد بن جعفر» أخبرني «شريك بن عبد الله ابن أبي نمر» عن «كريب عن ابن عباس» –رضي الله عنهما– قال:« بت عند خالتي «ميمونة» فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد: فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال:« إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار الآيات الأولى من الألباب » ثم قام توضأ واستن، ثم صلى إحدى عشر ركعة. ثم أذن «بلال» فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح. وهكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن اسحق الصنعاني عن ابن مريم به ثم رواه البخاري من طرق بن مالك عن مخرمه بن سلمان...

قال «ابن مردويه» بسنده عن «عطاء» قال:

«انطلقت أنا و«ابن عمر» و«عبيد بن عمير» إلى « عائشة » –رضي الله عنها– فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب، فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول

الشاعر « زُرْ غبّا تزدد حبّا ». فقال ابن عمر: «ذريناب» أخبرينا بأعجب ما رأيتيه من رسول الله ﷺ :

فبكت، وقالت: كل أمره كان عجبا: أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال: « ذريني أتعبد لربي ﷻ » قالت: والله إني لأحب قربك وإني أحب أن تعْبَدَ رَبّك. فقام إلى القربة فتوضأ. و لم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي فبكى حتى بَلّ لحيته، ثم سجد فبكى حتى بلّ الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى «بلال» يؤذنه بصلاة الصبح قالت: فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: « ويحك يا بلال!! وما يمنعني أن أبكى وقد أنزل عليَّ في هذه الليلة ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]. ثم قال: « ويل لمن قرأها و لم يفكر فيها ».

وقد ورد عن « سفيان الثوري » ﷺ أنه قال: « من قرأ آخر سورة آل عمران و لم يفكر فيها ويله يعد بأصابعه عشراً » وإني أجزم بأن ترديد هذه الآيات الكريمات سبب قوى من أسباب الشفاء من مرض الوسوسة بالذات لأنها بفضل الله تورث اليقين يسكن قلب المسلم ويطرد الوسوسة منه، لأن اليقين نور الله يقذفه في قلبه، والوسوسة ظلام ينسجه الشيطان خيوط عنكبوتية والنور يهتك عنكبوت الوسوسة، لأن الظلام لا يصمد أمام النور.

ولقد قرأت في نفس «ابن كثير» لهذه الآيات أبياتاً من الشعر قال ابن أبي الدنيا أن الحسين بن عبد الرحمن أنشده إياها، ويحسن أن أنقلها للقارئ يستمتع كما استمتعت:

نــزهــة المــؤمـــن الفكَـــرْ	لـــــذة المــؤمـــن العبـــرْ
ربّ لاه........... وعُـــمْــرُه	قـــد تقضـــى ومـــا شعـــرْ
رُبَّ عيـــش قـــد كـــان فـــو.	ق المنـــى مونـــق الزهــــرْ
فـــي حزيـــر مـــن العيــــون	وظـــل مـــــن الشجـــــرْ
وســـرور مـــن النبـــــا....	ت وطيـــب مـــن الثمـــر

غيـــرته......... وأهـــلــه	سرعـــة الدهـــر بالغيـــــر
نـــحمـــد الله.... وحـــده	إن فـــي ذا..... المعتبــــر
إن فـــــي ذا العبـــــــرة	للبيــــــب.... إن اعتبـــــر

٣) ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩].

قال الإمام «ابن كثير» في تفسير هاتين الآيتين:

وقد روى أبو داود: عن أبي الدرداء ﷺ قال: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم» سبع مرات إلا كفاه الله ما أهمه وسبق لسيدنا «عمر بن الخطاب » أنه قال:

« لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة ».

وإن عظمة هذه الآية أنها جمعت فيها جميع أسرار التوحيد، بحيث تكفى المسلم وتغنيه عن قراءة ألف كتاب في علم التوحيد.

فإذا ما قرأها المسلم بعقيدة راسخة وعزيمة ثابتة فإنه يلقى من الله حفظاً من كافة أمراض النفس وأولها «**الوسوسة**». فإنه بها قد دخل حصن الله فامتنع قلبه على الشيطان لأنه يستحيل عليه القرب من حصن الله الحصين- وبهذا ينجو المسلم من وساوس الشيطان، دون عنت أو إرهاق.

فيتحقق للمسلم بذلك الهدوء والطمأنينة وانشراح الصدر، وجمال السكينة والوقار.

٤) ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

يقول الإمام «ابن كثير» في تفسيره لهاتين الآيتين:

أمره أي سيدنا رسول الله ﷺ أن يستعيذ من الشياطين لأنهم لا تنفع معهم الحيل ولا ينقادون بالمعروف. وكان الرسول ﷺ يقول « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه ».

وقوله تعالى: ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون:٩٨]. أي في شيء من أمري. ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور، وذلك لطرد الشيطان عند الأكل والجماع والذبح وغيْر ذلك من الأمور. ولهذا روى «أبو داود» أن رسول الله ﷺ كان يقول:

« اللهم أني أعوذ بك من الهرم والفرق، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت» وقال الإمام « أحمد » في مسنده كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع « باسم الله أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون » قال: فكان « عبد الله بن عمرو » يعلمها من بلغ من ولده أن يقولها عند نومه، ومن كان منهم صغير إلا يعقل كتبها له وعلقها في عنقه، ورواه أبو داود والترمذي حديث.

٥) ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

[المؤمنون: ١١٥-١١٨].

يقول الإمام «ابن كثير» في تفسيره لهذه الآيات ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد، ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب، وإنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله ﷻ ﴿ وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ أي لا تعودون في الدار الآخرة كما قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ أي هملا . قوله ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴾ أي تقدس أن يخلق شيئاً عبثاً، فإنه الملك الحق

المتره عن ذلك ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ فذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات ووصفه بأنه كريم حسن المنظر بهي الشكل. كما قال تعالى:﴿ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾[الشعراء:٧].

قال «ابن حاتم» بسنده: كان آخر خطبة خطبها « عمر بن عبد العزيز »أن حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد...

« أيها الناس!! إنكم لم تخلقوا عبثاً، ولن تتركوا سدى، وإن لكم معاداً يترل الله فيكم للحكم بينكم، والفصل بينكم، فخاب وخسر وشقي عبد أخرجه الله من رحمته، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ألم تعلموا أنه لا يأمن عذاب الله غدا إلا من حذر هذا اليوم وخافه، وباع نافداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان ألا ترون أنكم من أصلاب الهالكين، وسيكون مَنْ بَعْدَكُم الباقين، حتى تردون إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله ﷻ، قد قضى نحبه وانقضى أجله، حتى تغيبوه في صدع من الأرض، في بطن صدع غير ممهد، ولا موسد، قد فارق الأحباب وباشر التراب، وَوُجه الحساب.. مرهن بعمله. غنى عما ترك، فقير إلى ما قدم. فاتقوا الله عباد الله قبل انقضاء مواثيقه، ونزول الموت بكم، ثم جعل طرف ردائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله».

وقال «ابن أبي حاتم» بسنده أن رجلاً مصاباً مرّ به « عبد الله بن مسعود »فقرأ في أذنه ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥]. حتى ختم السورة فبرئ فذكر ذلك رسول الله تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال ».

وروى «أبو نعيم»: من طريق خال بن نزار عن سفيان بن عُيَيْنَة عن محمد بن المنكر عن محمد بن إبراهيم بن الحادث عن أبيه قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سريه وأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا وأصبحنا﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون:١١٥]. قال: فقرأناها فغنمنا وسلمنا.

٦) ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر:٢١-٢٤].

قال الإمام «ابن كثير» في تفسير هذه الآيات:

يقول الله ﷻ معظماً لأمر القرآن ومبيناً علو قدره، وأنه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتصدع عند سماعه لما فيه من الوعد الحق، والوعيد الأكبر، ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ أي فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته، لو فهم هذا القرآن، فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله ﷻ، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره، وتدبرتم كتابه، ولهذا قال تعالى:﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

وقد ثبت في الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عُمِلَ له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد، فلما وضع المنبر أول ما وضع، وجاء النبي ﷺ ليخطب، فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، فعند ذلك حَنَّ الجذع، وجعل يئن كما يئن الصبي، الذي يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحي عنده، ففي بعض روايات هذا الحديث: قال الحسن البصري بَعْدَ إيراده: فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله ﷺ من الجذع. وهكذا هذه الآية الكريمة: إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته، فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟

وقد قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [الرعد:٣١]. وقد تقدم أن معنى ذلك أي مكان هذا القرآن. وقد قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ٧٤].

ثم قال تعالى:﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢]. أخبر ﷻ أنه الذي لا إله إلا هو فلا رب غيره ولا إله للوجود سواه، وكل ما يعبد من دونه باطل، وأنه عالم الغيب والشهادة، أي يعلم جميع الكائنات الْمُشاهَدَات لنا والغائبات عنّا، فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير، وصغيره وكبيره حتى الذرّ في الظلمات. وقوله ﷻ :﴿ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ المراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات، فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦]. وقال تعالى:﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[يونس: ٥٨].

ثم قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ أي المالك لجميع الأشياء، المتصرف فيها بمانعة ولا مرافعة وقوله ﷻ ﴿ ٱلْقُدُّوسُ ﴾ أي المبارك وتقدسه الملائكة الكرام وقوله: ﴿ ٱلسَّلَـٰمُ ﴾ أي من جميع العيوب والنقائص لكماله في ذاته وصفاته وأفعاله. وقوله ﷻ ﴿ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ أي أمَّنَ خلقه من أن يظلمهم، وصدّق عبادة المؤمنين في إيمانهم به. وقوله ﴿ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ أي الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى رقيب عليهم كقوله ﴿ وَٱلله عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ وقوله ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴾ وقوله ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ وقوله ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ أي الذي قد عزّ كل شئ فقهره وغلب الأشياء، فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال ﷻ ﴿ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ أي الذي لا تليق الجبرية إلا له، ولا التكبر إلا لعظمته، كما في الصحيح «العظمة

إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا ما عذبته » وقال «قتادة»:﴿ ٱلْجَبَّارُ﴾ المصلح أمور خلقه، المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم. وقال «قتادة»: ﴿ ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ يعني عن كل سوء ثم قال ﷻ : ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾[الحشر: ٢٤].أي الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله: ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار:٨]. وقوله ﷻ: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

نذكر الحديث المروى في الصحيحين عن «أبي هريرة» عن رسول الله ﷺ قال: «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر».

هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلى، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المجيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوى، المتين، الولي، الحميد، المحصى، المبدئ، المعيد، المحي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، الْبَرّ، التواب، المنتقم، العفو، الرءوف، مالك الملك ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغنى، المغنى، المعطى، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور، ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٤]. أي فلا يرام جنابه (الحكيم) في شرعة وقدره.

وروى الإمام «أحمد» بسنده عن «معقل بن يسار» عن النبي ﷺ قال: « عن النبي ﷺ قال: «من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ آيات من آخر سورة « الحشر » وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ومن قالها حين يمسى كان بتلك المترل:». ورواه الترمذي بسنده.

﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝ ﴾ [الإخلاص:١-٤].

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝ ﴾

[الفلق:١-٥].

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝ ﴾ [الناس:١-٦].

يقول الإمام «ابن كثير» في تفسير:﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾

قال البخاري بسنده عن أم المؤمنين « عائشة » -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـــ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فلما رجعوا، ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: « سلوه لأي شيء يصنع ذلك » فسألوه فقال: «لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ» بها فقال النبي ﷺ « أخبروه إن الله تعالى يحبه » هكذا رواه في كتاب التوحيد وقد رواه مسلم والنسائي أيضاً من حديث « عبد الله بن وهب ».

قال البخاري: في كتاب «الصلاة»، وقال « عبيد بن ثابت » عن أنس ﷺ قال: كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء، فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في

الصلاة مما يقرأ به يفتتح بـ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ حتى يفرغ منها، ثم يقرأ سورة أخرى معها، وكان يصنع ذلك في كل ركعة، فكلمه أصحابه، فقالوا: «إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئُك حتى تقرأ بالأخرى، فإما أن تقرأ بها، وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى»، فقال:« ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت، وإن كرهتم تركتكم»، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، وكرهوا أن يؤمهم غيره، فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر، فقال:« يا فلان ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك، وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة؟» قال:«إني أحبها»، قال:«حبك إياها أدخلك الجنة » هكذا رواه البخاري تعلقياً مجزوماً به.

قال «البخاري» بسنده عن «أبي صعصعة» عن « أبي سعيد » أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ يرددها فلما أصبح جاء على النبي ﷺ فذكر ذلك له، وكأن الرجل يتقالها، فقال النبي ﷺ « والذي نفسي بيده إنها تعدل ثلث القرآن» .

المعوذتان:

روى الإمام «مسلم» في صحيحه بسنده عن «عقبة بن عامر» قال: قال رسول الله ﷺ :« ألم ترى آيات أنزلت هذه الليلة، لم ير مثلهن قط ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ ورواه أحمد والترمذي.

روى النسائي بسنده أن رسول الله ﷺ قال: «إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ قال النسائي بسنده عن «عقبة بن عامر» قال: « تبعت رسول الله ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدميه فقلت:« أقرئني سورة «هود» أو سورة «يوسف»..» فقال:« لن تقرأ شيئاً أنفع «عبد الله» من ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ .

وجاء في تفسير الإمام «ابن كثير» لسورة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾

هذه ثلاث صفات من صفات الربّ ﷻ: الربوبية، والملك، والألوهية، فهو رب كل شيء ومليكه وإله لجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة له عبيد له، فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس، وهو الشيطان الموكل بالإنسان، فإنه ما من أحد من بنى آدم إلا وله قرين، يزين له الفواحش، ولا يألوه جهد في الخيال، والمعصوم من عصمه الله.

وقد ثبت في الصحيح أنه « ما منكم من أحد إلا قد وُكّلَ به قرينه، قالوا:« وأنت يا رسول الله!!» قال: «نعم. إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير ».

وثبت في الصحيحين عن « أنس » في قصة زيارة «صفية» للنبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معهما ليلاً ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا فقال رسول الله ﷺ: « على رسلكما!! إنها صفية بنت حيى، فقالا: «ﷺ يا رسول الله!!» فقال: « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكم شيئاً، أو قال شرّا ».

﴿ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾، قال «ابن عباس»: «الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس، فإذا ذكر الله خنس».

وعن أم المؤمنين سيدتنا « عائشة » رضي الله عنها- وأرضاها: أن سيدنا رسول الله ﷺ تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان يقرأ بهن وينفث في كفيه، ويمسح بها رأسه ووجهه وما أقبل من جسده.

وقال الإمام مالك ﷺ، بسنده عن أم المؤمنين سيدتنا « عائشة » رضي الله عنها- وأرضاها أن سيدنا رسول الله ﷺ تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين، وينفث، فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها. ورواه البخاري، والنسائي.

هذه شواهد من القرآن دلالتها صريحة على أن القرآن الكريم فيه الشفاء المحقق لكل مريض بالوسواس من بني آدم على العموم وبخاصة المسلم منهم.

وقد كان في إمكاني أن أملأ بغيرها الصفحات الكثيرة لولا خوفي أن أشق على القارئ، أو أن يعتريه الملل، وتركت له في حالة رغبته في الزيادة أن يفتح المصحف الشريف ليقرأه وبالتأكيد فإنه سيتلقى فيضاً عظيماً من آيات الشفاء الأخرى التي عجزت عن إيرادها في هذا للأسباب المذكورة ولسبب ضيق المقام، وتكاليف الطبع والنشر، ومستوى الأسعار الذي يثقل الكاهل.

ولكني أرى أن ما ورد بهذا الكتاب من آيات قرآنية كريمات، قد حسم الخلاف الذي نشب في الفترة الراهنة بين من يعتنقون الرأي الذي يقول بالشفاء بالقرآن على إطلاقه والآخرين الذين ينفون عن القرآن صفة الدواء الشافي للإنسان من كل مرض سواء كان هذا المرض جسمانياً أو روحياً { نفسيّا } فمفعول الآيات القرآنية يؤدى بفضل الله إلى الشفاء العاجل، ولا بأس أبدا أن يقرأ القرآن على المريض أو يقوم المريض بقراءته على نفسه وفي كلتا الحالتين يتحقق الشفاء بإذن الله.

ولكن لهذا الاتجاه شروطاً وضوابط لابد من توافرها في كل من القارئ والمريض. سيأتي قريباً على صفحات مقبلة.

والمهم الآن أن نقف على السند في تمسكي بهذا الرأي:

أولاً: إننا نعتقد اعتقاداً جازما أن الإنسان وحدة تجمع بين عنصرين هما المادة والروح. فالإنسان ليس جسماً فقط، وإنما هو جسم وروح. بل إن الروح هو العنصر الجوهري الذي يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات الأرضية. ونعتقد اعتقادا جازماً أيضا أن الله ﷻ هو خالق الإنسان وهو ربه ومالكه ومليكه وإلهه العظيم.

ونعتقد اعتقادا جازما بأن الله ﷻ الذي قال:

١) ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩].

٢) ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠].

٣) ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة:٣١-٣٣].

وفي ضوء هذه الآيات الأخيرة نعلم يقيناً أن الله ﷻ قد زوّد الإنسان بالملكات والقدرات ما يمكنه من النهوض بهذه الخلافة لله ﷻ.

ونعلم يقيناً أن إبليس الشيطان الرجيم قد نَفَسَ على الإنسان في شخص آدم هذه المترلة العالية وأنه توعد آدم وذريته من بعده بالعمل على إحباطهم وتضليلهم حتى يفقدوا أهلية النهوض بهذه الرسالة التي كلفهم بها والدليل على ذلك من القرآن الكريم.

١) ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف:١٦-١٧].

٢) ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص:٨٢-٨٣].

٣) ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر:٦].

إذن فهي حرب بين الشيطان والإنسان أعلنها في الأزل إبليس والله ﷻ شاهد على ذلك وكفى بالله شهيداً.

فالشيطان يحارب الإنسان، ومن أساليب هذه الحرب هذه الوسوسة أو هذا الوسواس الذي هو مرض خبيث يلقى جرثومته في قلب الإنسان وعقله، فيدمر عقيدته، ويحبط عمله، ويقعده عن عبادة ربه، فيحول بينه وبين رضاه والجنة ويقرب المسافة بينه وبين سخطه والنار ولا شفاء له من هذا المرض إلا بدواء القرآن الكريم

كلام الله ونوره المبين. ولا غرو فالقرآن روح، والمرض الذي نحن بصدده هو الوسواس وهو مرض نفسي يصيب الروح ولا علاج له إلا بالروح.

ولقد أدرك أهمية الروح علماء من الغرب فقال أحدهم وهو « رونيه أوبير » فقال: «إن الروح هي المنبع الوحيد الذي تنبثق منه الطبيعة والمجتمع والكيان الفردي».

نقلا عن كتاب «علم النفس التربوي في الإسلام».

الفصل الثالث « البناء الروحي للشخصية الإسلامية» للدكتور «مقداد يالجن» ص﴿٢٩٧﴾ ا/د « مقداد يالجن » وآخرون الذي قال في ص ﴿٣٩٨﴾.

لأن الحياة الروحية هي التي تضفى على حياة الإنسان القوة والإشراق والبهجة في الدنيا والأمل السعيد في الآخرة. وهي التي تجعله يتحمل الصبر وتجعله يواجه الصعوبات بشجاعة وبسالة دون أن ينهار أمامها ثم يصاب بالانهيارات العصبية وبأمراض نفسية وقد يكون هذا وذاك سببا لإقدامه على الانتحار. وقد حصل هذا وذاك ولا يزال لا يحصل ويكثر في المجتمعات المحرومة من الحياة الروحية وهى في الوقت نفسه طاقة دافعة إلى الالتزام بالواجبات وقوة يستعان بها للقيام بالأمور العظيمة، وبالمستويات الكبيرة ولأداء الأعمال فوق الواجب» انتهى كلام «د/ مقداد» هذا القول يدحض قول المتمسكين بأن أصل الأشياء مادي فقط، ويدحض معه قول الذين يستبعدون أن يكون القرآن شفاء للأمراض الجسدية أو النفسية.

فبالنسبة لمريض الجسد لا يكفى أن يتعاطى الأدوية الكيماوية أو العشبية، بل إنه في حاجه إلى طاقة روحية يقاوم بها المرض العضوي، ولن يجد هذه الطاقة إلا في القرآن الكريم الذي هو غذاء الروح وشفاؤها فيتقوى به المريض، ويتغلب على المرض العضوي مهما كان ميئوساً من الشفاء منه.

نقل لنا الدكتور « يالجن » كلمة « رونيه أبير » الفاصلة « فالروح إذن تسود كل شيء، وتستغرق كل شيء وهي كل شيء » ص ﴿٣٠٠﴾ من المصدر السابق بل إنه وصل إلى أفق عال في قوله:

« إن التربية عمل، ولكنها عمل تقوم به روح في روح إنها نداء توجهه الروح التي وصلت إلى الآفاق العليا من الوجود، إلى الروح التي تتطلع إلى اللحاق بها » المرجع السابق ص٣٠١.

والعلاج القرآني يتطلب تعويد المريض على تلاوة القرآن بأن يجعل لنفسه وردا قرآنياً يلزم نفسه به ولو كان هذا الورد بقدر ثلاث آيات يومياً، وأما الراغبون في سرعة الشفاء فليجعلوا وردهم جزءا منه في اليوم فلا ينتهي الشهر إلا ويكون قد ختم القرآن وهذا وحده كفيل بتطهير قلبه وعقله من رجس الوساوس.

فيصبح بذلك قلبه سليماً وعقله سليماً.

فبالنسبة للقلب لا ننسى حديث سيدنا رسول الله ﷺ: « إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، قالوا: وما جلاؤها يا رسول الله؟ قال: الاستغفار وتلاوة القرآن ».

وحديثه الذي يقول فيه: « ألا وإن الجسد لمضغة إذا صلحت الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ».

ثم يجب ألا ننسى الآيتين الشريفتين ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

فالمريض بالوسواس مطالب بتعهد بتلاوة القرآن الكريم آناء الليل وأطراف النهار إذا أحب أن يجلو قلبه من علائقه الوسواس، وتطهيره من رجس الوسواس، وشفاءه من مرض الوسواس حتى يحصل بذلك على قلبه سليما يسعد به في الدنيا وينتفع به في الآخرة. وذلك فضل الله وفضل الله عظيم .

وبالنسبة إلى العقل: فإن القرآن الكريم نور يضئ هذا العقل ويحفظه سليما من الشكوك والأوهام.

وبالقرآن الكريم يحصل المريض على عقل سليم ومما لا شك فيه أن العقل السليم يلد الجسم السليم فالجسم السليم في العقل السليم. والشفاء من الله ﷻ. وهو على ذلك قدير .

ضوابط الأخذ بالقرآن شفاء من الأمراض:

القرآن الكريم كلام الله ﷻ وحبله المتين، ونوره المبين، وقد احتوى هذا الكتاب الكريم على جميع أسباب السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة، وضمن أسباب السعادة هذه الشفاء من الأمراض التي تعتريه سواء كانت هذه الأمراض جسمانية أو روحية نفسية.

فإذا مرض أحد وأراد أن يتحقق له الشفاء بالقرآن فيجب أن تتوفر لديه شروط أهمها:

١) **عقيدة راسخة**: لابد أن يعتقد المريض اعتقاداً راسخاً لا يخالجه شك في أن الله ﷻ قادر على إذهاب هذا المرض، وتبديد هذا السقم، وإبرائه منهما وفي أن القرآن الكريم هو كتاب الله الكريم ونوره المبين وأن في تلاوته الشفاء التام لأنه الدواء الناجح القادر على تحقيق هذا الشفاء.

ولنا في سيدنا « إبراهيم » ﷺ الأسوة الحسنة فقد ذكر لنا القرآن الكريم أنه سبّح الله ﷻ وذكره قائلا:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠]. انظر معي أيها القارئ الكريم:

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾

نسب المرض إلى نفسه ونسب الشفاء إلى الله وحده.

﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ فقد استعمل صيغة القصر: أي أن الله وحده هو الذي يشفي عباده من المرض وليس أحد سواه، عند ذلك يتفتح القلب ليستقبل أنوار الله ﷻ وتجلياته، فإذا انفتح القلب انشرح الصدر، وتهيأت أعضاء الجسم لتلقى الشفاء من الله ﷻ.

٢) **التسليم المطلق لله ﷻ**: وهذا التسليم لله يولّد عند الإنسان حسن التوكل عليه، وتفويضه أمره لله لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله.

٣) **الإقبال على قراءة القرآن وتلاوته**، وعرضه على قلبه عرضا جيداً، حتى تتحقق في هذا القلب فرحة به تعلو على كل أنواع الفرح، فهي أجمل من الفرح بالمال والأهل والولد. لأن القرآن الكريم كَنْز السعادة في الدنيا والآخرة فهو موصوف في سورة يونس: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٧-٥٨]. فإنه إن فعل ذلك سينسى المرض تماماً، وسيتغلب ذكر الله على آلام المرض، وعندئذ يتمكن القلب من الإئتناس بالله ﷻ، وتكون دقاته كلها تسبيحاً لله وحمداً له ﷻ، ومناجاة له تحمل له أسمى عبارات الحمد والثناء، وتفعم القلب بحبه ﷻ فيولد هذا الحب عند المريض رغبة شديدة في الخلوة بالله بعد أن ظفر بفرصة الود الإلهي المبارك.

حيث استنارت بصيرته، وتمكنت الحجب بينه وبين الله ﷻ حيث وجده سبحانه عنده حقاً وحقيقة فلم يعد يذكر حاجته أمامه، لأنه قد تحقق تماما بعلمه بها فجرت على قلبه كلمات الخليل « إبراهيم » عليه السلام « علمه بحالي يغنى عن سؤالي » فتتولد عنده الطاقة التي تمكنه من مقاومة المرض، فيشفى بإذن الله ﷻ ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤]. هذه بعض الشروط التي يجب توفرها في الإنسان الذي يطلب الشفاء بالقرآن سواء كان المريض نفسه أو من يقرأ له من المهتمين بأمره الراغبين في شفائه.

فإذا تحققت هذه الشروط، ومعها طيب المأكل والشرب وخلو القلب من الأحقاد والأضغان، والغل والحسد والوسوسة مع صفاء النفس، وحسن الإقبال على الله، والتجرد من الأغراض الشخصية والمآرب الذاتية، والانشغالات الدنيوية، فإن الشفاء محقق بإذن الله.

وكذلك يتطلب الأمر الصبر والمصابرة، دون ملل أو ضجر، ودون يأس أو خلل، فإن الصبر عدة لمواجهة البلاء، وإن الملل يطفئ جذوة الإيمان أما اليأس فإنه أول باب

الكفر والعياذ بالله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[يوسف: ٨٧]. فيا حبذا لو ردد الاثنان المريض والقارئ له دعاء سيدنا رسول الله ﷺ « **لا إلـــه إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب الأرض رب العرش الكريم**» أخرجـــه البخـــاري، ٨/ ٩٣، ٩/١٥٥،١٥٣. ومسلم ٨/٨٥ عن أبي العالية عن ابن سعيد.



المبحث الثاني
الذكر

مشروعيته:

ذكر الله ﷻ واجب على كل مسلم ومسلمة فيجب عليهما ذكره على كل حال، وفي كل وقت، وعند كل موقف لا يشغلهما عن ذلك شاغل من الحياة الدنيا، ولا يلهيه عنه أهل ولا مال ولا ولد.

الأدلة الشرعية:

أولاً: القرآن الكريم:

قال ﷻ:

١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

٢) ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة:١٥٢].

٣) ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [البقرة:١٩٨].

٤) ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾ [البقرة:١٩٩-٢٠٢].

٥) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٤].

٦) ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤]. ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحج: ٣٤-٣٥]

٧) ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

٨) ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

٩) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ ﴾ [الجمعة:٩-١٠].

١٠) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون:٩].

قال الإمام «ابن كثير» في تفسير هذه الآية: يقول تعالى:«آمر العباد بكثرة ذكره، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك، ومخبراً لهم بأنه من النهي بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة».

قال الإمام ابن كثير في تفسير آية سورة «الأحزاب» ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[الأحزاب: ٤١-٤٢].

يقول ﷻ أمر عباده المؤمنين بكثرة ذكرهم لربهم تبارك وتعالى المنعم عليهم بأنواع النعم، وصنوف المنن، لما لهم من جزيل الثواب، وجميل المآب. قال الإمام أحمد بسنده عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « **ألا أنبؤكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخيركم من إعطاء الذهب والورق، وخير من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا وما هو يا رسول الله؟ قال ﷺ**: « **ذكر الله ﷻ** » وهكذا رواه الترمذي وابن ماجة من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد مولى عباس عن بحرية واسمه عبد الله بن قيس البراغمى عن أبي الدرداء ﷺ ورواه بعضهم فأرسله وأحال تفسيره لقول الله ﷻ

﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. والذي قال فيه قال ابن أبي حاتم بسنده عن أبي سعيد الخدرى

ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: « إذا أيقظ الرجل امرأته من الليل فصليا ركعتين كانا تلك الليلة من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات» وقد رواه أبو داود والنسائي وابن ماجة من حديث الأعمش عن الأغر أبي مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة عنهما عن النبي ﷺ. وقال الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدرى ﷺ أنه قال: «قلت يا رسول الله!! أيّ العباد أفضل درجة عند الله تعالى يوم القيامة؟» قال ﷺ: « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » قال: «قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله تعالى؟» قال: «لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسرَ ويخضب وما لكان الذاكرون الله تعالى أفضل منه ».

وقال الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فأتى على جمدان فقال: « هذا جُمدَان: سيروا فقد سبق المفرِّدون » قالوا: وما المفردون؟ قال ﷺ: « الذاكرون الله كثيراً والذاكرات » وقال الإمام أحمد بسنده عن «معاذ بن جبل» ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما من عمل آدمي عملاً قط أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله ﷻ » ثم روى الإمام «ابن كثير» الحديث المشار إليه والذي أوله « ألا أنبئكم بخير أعمالكم...، قال رجل لسيدنا رسول الله ﷺ وقال له: «يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علينا فمرني بأمر أتشبث به» قال ﷺ :« لا يزال لسانك رطباً بذكر الله » الإمام أحمد.

وقال الإمام أحمد بسنده عن أبي سعيد الخدرى ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال «أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون».

ثانيا: الدليل الثاني من السنة والحديث الشريف:

١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله: « **أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً**

تقربت إليه باعاً. وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة.

٢) عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوّكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟ قالوا بلى. قال: ذكر الله». قال معاذ بن جبل: «ما شئ أنجى من عذاب الله من ذكر الله»** .
رواه أحمد بإسناد حسن وابن أبي الدنيا والترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي. وقال الحاكم صحيح الإسناد.

٣) عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ أن رسول الله ﷺ: **سئل أي العباد أفضل درجه عند الله يوم القيامة؟ قال:«الذاكرون الله كثيراً قال: قلت يا رسول الله ومن الغازي في سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب وما كان الذاكرون الله كثيراً أفضل منه درجة»** رواه الترمذي وقال حديث غريب.

٤) عن أبي سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون** » رواه الإمام أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

٥) عن أبي هريرة ﷺ قال: « **كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمرّ على جبل يقال له جُمْدَانُ، فقال: سيروا هذا جمدان. سبق المغررون. قال وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً. رواه مسلم واللفظ له. والترمذي، ولفظه يا رسول الله: وما المفردون؟ قال: المستهترون بذكر الله بضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون الله يوم القيامة خفافاً.**

٦) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن لله ملائكة يطوفون في الطرق؛ يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله، تنادوا: هلموا إلى حاجتكم فيحفوهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم. ما**

يقول عبادي؟ قال يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحاً. قال: فيقول فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة، قال فيقول: وهل رأوها؟ قال يقولون: لا والله يا رب ما رأوها، قال: فيقول كيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة: قال: فممّ يتعوذون؟ قال: يتعوذون من النار. قال: فيقول: وهل رأوها قال: يقولون: لا والله ما رأوها. قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون لو رأوها: كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة. قال: فيقول: أشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم. رواه البخاري واللفظ له، ومسلم.

٧) عن أبي سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **يقول الله ﷻ يوم القيامة: سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم. فقيل: من أهل الكرم يا رسول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر**. رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه والبيهقي.

٨) عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ **أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومن به علينا. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك. قال: أما إني لم استحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله ﷻ يباهى بكم الملائكة**. رواه مسلم والترمذي والنسائي.

٩) عن أنس بن مالك ﷺ قال: كان عبد الله بن رواحه إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: « **تعالى نؤمن بربنا ساعة، فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل، فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله!! ألا ترى ابن رواحة:**

يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة!! فقال النبي ﷺ: برحم الله ابن رواحة إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة. رواه أحمد بإسناد حسن.

١٠) وعنه أيضاً ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: « **ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله ﷻ لا يريدون إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفور لكم، قد بدّلت سيئاتكم حسنات**. رواه أحمد ورواته محتج به في الصحيح.

١١) جاء في كتاب «الشفاء بتعريف حقوق سيدنا المصطفى» لأبي الفضل القاضي عياض (٤٧٦هـ-٥٤٤هـ) الجزء الأول ص١١٣.

عن علي ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال:

المعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضي غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شقيقي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة » وفي حديث آخر « وثمرة فؤادي في ذكره، وغمى لأجل أمتي، وشوقي إلى ربي ﷻ ».

١٢) أخرج أبو داود عن سيدنا رسول الله ﷺ تبارك وتعالى عليه وعلى آله وأصحابه وسلم قال: « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه، إلا قاموا على أنتن من جيفة حمار وكان عليهم حسرة » أخرجه أبو داود.

أنواع الذكر

الذكر غذاء الروح:

وفي عالم غذاء الجسد: تتوفر الفيتامينات والمعادن في فاكهة غالية الثمن كالتفاح، وتتوفر نفس الفيتامينات والمعادن في فاكهة رخيصة الثمن كالجزر.

أما الأغنياء فلديهم القدرة على شراء التفاح فيتغذون به، ولكن الفقراء ليست لديهم القدرة على شراءه فيذهبون إلى الجزر يتعاطون فيه نفس الفيتامينات ونفس

المعادن، ويحصلون على نفس الفائدة التي يحصل عليها الأغنياء، وهذا يتجلى فيه عدل الله ﷻ المطلق وتتجلى فيه أيضاً رحمته الواسعة.

وفي غذاء الروح نرى أيضاً عدل الله ﷻ ورحمته يتجليان بنفس البهاء، ونفس الأنوار فالحافظون للقرآن الكريم من العلماء والحفاظ يغذون أرواحهم بتلاوته ودراستهم آناء الليل وأطراف النهار.

فإذا غذوا أرواحهم بذلك فإنها تسمو، وتشرق وتقوى، وترقى حتى تشاهد.

وهناك فريق من الناس هو الغالب. فليس كل الناس علماء وحفاظاً للقرآن. بل إن غالبية الناس أميون وأقصد بلفظ الأميين { غير حافظين للقرآن } ومنهم من لا يتوفر له الوقت للعكوف على القرآن يتلوه.

هل يتركهم الله ﷻ دون أن يوفر لهم غذاء لأرواحهم، لتقوى، وتسمو، وتشرق، وتلهم، وتشاهد.

إن عدل الله المطلق ورحمته الواسعة يتجليان هنا بنفس العظمة والجلال والحنان الساطع في غذاء البدن فهو ﷻ شرع الذكر وجعل فيه نفس القيمة الغذائية للروح، والتي توفرت في تلاوة القرآن الكريم. ولها نفس القوة ونفس الآثار الطيبة، والحلاوة أيضاً ومن ثَمَّ فقد شرع الله الذكر... وما أحلاه.

والذكر نوعان: ذكر القلب وذكر اللسان ونترك المجال لرجل من رجال العلم والتحقيق وهو سيدي «أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري» «٧٠٩هـ» ليشرح لي وللقراء الكرام:

يقول هذا الشيخ الجليل: في رسالته في الذكر واسمها « مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح » طبع ونشر وتوزيع شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ص٥، ص٦.

« الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق، وقيل: ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان وسواء في ذلك ذكر الله بالاسم أو بصفة من صفاته أو حكم من أحكامه، أو فعل من أفعاله، أو استدلال على شئ من ذلك، أو دعاء، أو ذكر رسله، أو أنبيائه، أو أوليائه، أو من انتسب إليه، أو تقرب إليه بوجه من الوجوه، أو سبب من الأسباب، أو فعل من الأفعَال. بنحو قراءة أو ذكر، أو شعر أو غناء، أو محاضرة، أو حكاية.

فالمتكلم ذاكر، والمتفقه ذاكر، والمدرس ذاكر، والمفتي ذاكر، والواعظ ذاكر، والمتفكر في عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته في أرضه وسماواته ذاكر، والممتثل لما أمر الله به والنتهي عما نهى عنه ذاكر.

والذكر قد يكون باللسان، وقد يكون بالجنان. وقد يكون بأعضاء الإنسان، وقد يكون بالإعلان والإجهاد، والجامع لذلك كله ذاكر كامل.

فذكر اللسان: هو ذكر الحروف بلا حضور. وهو الذكر الظاهر. وله فضل عظيم؛ شهدت به الآيات والأخبار والآثار، فمنه المقيد بالزمان أو بالمكان، ومنه المطلق:

فالمقيد: كالذكر في الصلاة وعقبها، والحج، وقبل النوم، وبعد اليقظة، وقبل الأكل، وعند ركوب الدابة، وطرفي النهار... وغير ذلك.

والمطلق: لا يتقيد بزمان ولا مكان، ولا وقت ولا حال، فمنه ما هو ثناء على الله: كما في واحدة من هذه الكلمات. سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. ومنه ما هو ذكر فيه دعاء مثل:-

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ آخر سورة البقرة.

أو مناجاة، وكذلك. اللهم صلى على سيدنا «محمد» وهو أشد تأثيراً في قلب المبتدئ من الذكر الذي لا تضمن المناجاة. لأن المناجي يشعر قلبه قرب من يناجيه. وهو مما يؤثر في قلبه ويلبسه الخشية.

ومنه ما هو ذكر فيه دعابة أو طلب دنيوي أو أخروي. فالرعاية مثل قولك: **الله معي، الله ناظر إلى، الله يراني**، فإنه فيه دعابة لمصلحة القلب، فإنه ذكر يستعمل لتقوية الحضور مع الله تعالى وحفظ الأدب معه، والتحرز من الغفلة والاعتصام من الشيطان الرجيم، وحضور القلب مع العبادات. انتهى كلام سيدي ابن عطاء الله السكندري.

ذكر اليوم والليلة:

إذا استيقظ من نومه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد: يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد، فإن استيقظ وذكر الله ﷻ انحلت عقدة، فإن توضّأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** » صحيح البخاري: كتاب «الكسوف». باب عقد الشيطان على قافية الرأس وصحيح مسلم كتاب «صلاة المسافرين» باب ما روى فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح وعلى ذلك إذا استيقظ المسلم فعليه أن يقول: « الحمد لله الذي ردّ عليّ روحي، وعافاني في جسدي وأذن لي بذكره ». ابن السني في عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا استيقظ من منامه (ج ١/٥ رقم ٩) وحسّنه الألباني.

وكان سيدنا رسول الله ﷺ إذا استيقظ من نومه قال:

١) « **لا إله إلا أنت سبحانك اللهم استغفرك لذنبي، وأسألك رحمتك. اللهم زدني علماً، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**». سنن أبو داود: كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح- ٣٢٢/٥، ٣٢٣ رقم ٥٠٨٥

٢) « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شئ قدير في اليوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب. وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك**». رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة.

٣) «**أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص، ودين سيدنا محمد ﷺ وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين** » ابن السني في عمل اليوم والليلة باب ماذا يقول إذا أصبح (١/١٣/رقم ٣٣) والنسائي في عمل اليوم والليلة، والنسائي، في عمل اليوم والليلة.

٤) « **اللهم أنت ربّي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بنعمتك على، أبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. أعوذ بك من شر ما صنعت** » صحيح البخاري كتاب الدعوات باب فضل الاستغفار.

٥) قال سيدنا رسول الله ﷺ تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

« **من قال حين يصبح ويمسى: سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه** » صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٢٧١-رقم ٢٩) .

٦) عن عبد الله بن خُبيب- بضم الخاء المعجمة- ﷺ قال:

خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ: ليصلى لنا فأدركناه فقال: قل: فلم أقل شيئاً. ثم قال: قل، فلم أقل شيئا. ثم قال: قل. فقلت يا رسول الله ما أقول؟ قال: « قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسى، وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شئ». قال الترمذي: حديث حسن صحيح- سنن أبي داود كتاب الدعوات- والنسائي كتاب الاستعاذة).

٧) عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كان النبيّ ﷺ إذا أمسى قال:

«**أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير، رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها. وأعوذ بك من شر ما في هذه الليلة وشر ما بعدها. رب أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر، وأعوذ بك من عذاب النار، وعذاب القبر، وإذا أصبح قال أصبحنا وأصبح الملك لله**».صحيح مسلم كتاب الذكر- باب التعوذ من شر ما عمل (٢٠٨٨/٤- رقم ٧٤

عن أبي هريرة ﷺ قال:

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال:

«يا رسول الله! ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟» قال: أما لو قلت حين أمسيت: « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك ». صحيح مسلم. كتاب الذكر باب التعوذ من شر ما عمل رقم ٢٧٠٩ج٢٠٨١/٤ .

وقد جاء تفصيل هذا الحديث طبعة دار الشعب المجلد الخامس ص٥٦٠، رقم ٥٣ عن «خوله بنت حكيم السلمية» أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا نزل أحدكم منزل فليقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه قال يعقوب وقال القعقاع بن حكيم عن ذكوان أبي صالح عن أبي هريرة أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله. ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ قال: لو قلت حين أمسيت: « أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ».

٨) عن أم المؤمنين السيدة « عائشة » -رضي الله عنها- وأرضاها: أن رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الدعوات: « **اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، وفتنة القبر، وعذاب القبر، ومن شر فتنة الغنى، ومن شر فتنة الفقر، وأعوذ بك من شر فتنة المسيخ الدجال، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد، ونقي قلبي من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بيني وبين خطاياي كما**

باعدت بين المشرق والمغرب.اللهم أني أعوذ بك من الكسل والهرم. والمأثم والمغرم».

٩) « **اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال** ». متفق عليه.

١٠) « **إذا خرج إلى الطريق قاصداً السعي إلى رزقه أو الصلاة في المسجد أو السفر: يقول:** « **بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله** » تقول الملائكة: حسبك كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان.

١١) « **اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة ربّ كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه، قال: قلها إذا أصبحت، وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك** » قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وسنن أبي داود: كتاب الأدب: باب ما يقول إذا أصبح ٣١١/٥ رقم ٥٠٦٧ وسنن الترمذي كتاب الدعوات باب ١٤ ج٥/٤٦٧ رقم ٣٣٩٢.

١٢) عن ثوبان- خادم سيدنا رسول الله ﷺ تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم- قال: قال رسول الله ﷺ: « **من قال حين يمسي: رضيت بالله ربّا وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيّا ورسولا كان حقا على الله- تعالى- أن يرضيه** ». سنن أبي داود وسنن الترمذي والحاكم وقال صحيح الإسناد وقال الترمذي حديثاً صحيح غريب.

١٣) عن عبد الله بن غنّام- البياض الصحابي: أن رسول الله ﷺ قال:

« **من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بي من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه. ومن قال: مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته** ». سنن أبي داود.

١٤) عن ابن عمر – رضي الله عنهما:

لم يكن النبي ﷺ يدع إلا بهؤلاء الدعوات حين يمسى وحين يصبح: « **اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياى وأهلي ومالي، اللهم أستر عوراتي، وآمن روعاتى، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي** ». قال الحاكم « أبو عبد الله » هذا حديث صحيح الإسناد المستدرك للحاكم: كتاب الدعاء ٥٢٠/١٢ وقال صحيح الإسناد.

١٥) عن بعض بنات النبي ﷺ أنه كان يعلمها فيقول:

« **قولي حين تصبحين: سبحان الله وبحمده، لا قوة إلا بالله، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شئ قدير. وأن الله قد أحاط بكل شئ علما. فإنه من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسى، ومن قالهن حين يمسى حفظ حتى يصبح** » سنن أبي داود رقم {٥٠٧٥} قال الحافظ بن حجر في تخريج أحاديث الكشاف: أخرج الحديث أبو داود والعقيلى وابن عدى من حديث ابن عباس.. الخ ابن علان ١٢٠/٣.

١٦) ما يقال عند الكرب. وفي الأزمات بأنواعها. الاقتصادية، والنفسية، والاجتماعية: عن ابن عباس – رضي الله عنهما– أن النبي كان يقول: « **لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم** ». كتاب الدعوات في صحيح البخاري وصحيح مسلم كتاب الذكر.

عند تقريب الطعام:

١) عن عمر بن أبي سامة: قال:

قال لى رسول الله ﷺ:

« **سمّ الله وكل بيمينك** ». صحيح البخاري- الأطعمة- باب التسمية على الطعام، وصحيح مسلم كتاب-الأشربة- باب الطعام والشراب.

٢) عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« **إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله- تعالى- عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت وإذا لم يذكر الله- تعالى- عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**». صحيح مسلم

إذا فرغ من الطعام:

١) عن أبي أمامه ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: « **الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفى ولا مودّع ولا مستغنى عنه ربّنا** » صحيح البخاري- باب الأطعمة- باب ما يقوله: إذا فرغ من طعامه.

صحيح مسلم: عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله- تعالى- ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها** ». صحيح مسلم: الذكر والدعاء .

٢) عن معاذ بن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « من أكل طعاما فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ». سنن أبي داود والترمذي وابن ماجة.

٣) عن أبي سعيد الخدرى ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**». سنن أبي داود والترمذي- الأشربة.

عندما يأوي إلى فراشه للنوم:

١) عن البراء بن عازب: أن رسول الله ﷺ قال:

إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقّك الأيمن ثم قل « **اللهم إني سلمت وجهي إليك، وفوّضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك. لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك. آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيّك الذي أرسلت** » واجعلهن من آخر كلامك. فإن مت من ليلتك مت وأنت

على الفطرة قال فرددهن لاستذكر من فقلت آمنت برسولك الذي أرسلت قال: قـــل بنبيِّك الذي أرسلت ». صحيح مسلم- الدعاء عند النوم.

٢) اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ربنـــا ورب كـــل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوارة والإنجيل والفرقان، أعوذ بك من شر كـــل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فلـــيس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء. اقض عنا الدين وأغننا من الفقر.

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ صحيح مسلم وفي رواية عن أبي صالح عـــن أبي هريرة أن سيدنا رسول الله ﷺ قد أتته فاطمة ابنته- رضي الله عنها- تســـأله خادمـــا فقال لها: قولي: « اللهم رب السموات السبع» بمثل حديث سهيل قال: قال لي رسول الله ﷺ: « قل اللهم اهدني وسددني، وأذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد ســـداد السهم ».

التعوذات:

المقصود بها اللجوء إلى الله ﷻ أن يحفظ النفس أو الأهل أو الولد من الشرور الظاهرة والباطنة.

في النفس:

١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **تعوذوا بالله من جَهْدِ الـــبلاء، ودرك الشقاء وسوء القضاء، وشماتة الأعداء** ». صحيح البخاري الدعوات. بـــاب قول النبي ﷺ: « ربنا آتنا في الدنيا حسنة » و صحيح مسلم الذكر باب فضل الدعاء باللهم.

٢) عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: « **اللهم إني أعوذ بـــك مـــن العجز والكسل والجبن والهرم والبخل، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وضلع الدين وغلبة الرجال** ». صـــحيح البخـــاري- الـــدعوات وصحيح مسلم.

٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن أبي بكر الصديق- رضي الله عنهم- أنه قال لرسول الله ﷺ علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال:

« قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك. وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم ». صحيح البخاري وصحيح مسلم في الدعاء والذكر.

٤) عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ: أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي، وإسرافي في أمري، وما أنت أعلم به منى، اللهم اغفر لي جدي وهزلي، وخطأي وعمدي، وكل ذلك عندي، اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير** » صحيح البخاري كتاب الدعوات. وصحيح مسلم الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل.

٥) عن أبي هريرة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ يقول:

« **اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر** ». صحيح مسلم- الذكر والدعاء.

٦) عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ يقول: « **اللهم لك أسلمت وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت، والجن والإنس يموتون** ». صحيح البخاري- كتاب الدعوات باب الدعاء إذا انتبه من الليل.

٧) عن بريدة ﷺ أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: « **اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الواحد الأحد الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: لقد سألت الله- تعالى- بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب** » وفي رواية أخرى لقد سألت الله باسمه الأعظم.

سنن أبي داود وكتاب الصلاة، باب الدعاء. وأخرجه الترمذى في الدعوات- باب جامع الدعوات. وقال: حسن غريب وابن ماجة كتاب الدعاء- باب اسم الله الأعظم.

٨) عن أبي اليَسْر الصحابى ﷺ { وهو بفتح الياء المثناة تحت والسين المهملة} أن رسول الله ﷺ كان يدعو « **اللهم أنى أعوذ بك من الهرم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الغرق والحرق والهرم، وأعوذ بك أن يتخبَّطَني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مُدْبِراً، وأعوذ أن أموت لديغاً** ». سنن أبي داود. الترمذى والنسائى- الاستعاذة من التردي.

٩) عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « كان من دعاء داود عليه السلام: «اللهم أنى أسألك حبّك، وحب من يُحبُّك، والعمل الذى يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إلى من نفسي وأهلي ومن الماء البارد ». قال الترمذي حديث حسن. سنن الترمذي- الدعوات.

في الأولاد:

١) عن ابن عباس- رضى الله عنهما: قال:

كان رسول الله ﷺ: يُعَوِّذُ الحسن والحسين:« **أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة** ». ويقول إن أباكما « إبراهيم» عليه السلام كان يعوّذ بها إسماعيل وإسحق. صحيح البخاري كتاب الأنبياء- باب يزخون النسلان في الشر جزء ٤/ ١٧٩ رجعت في هذا الجزء من الكتاب إلى كتاب «الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ». للشيخ الجليل الإمام النووي وهو الإمام الحافظ شيخ الإسلام محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف الدمشقي {٦٣١-٦٧٦هـ} حققه وخرج أحاديثه الشيخ أحمد عبد الله باجور تقديم: فضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الطير طبعة دار الريان. جزاهم الله جميعاً خير عني وعن الإسلام والمسلمين.

ذكر الفذ

أقصد بذكر الفذ. ذكر الفرد الذي يقوم به المسلم وحده والمسلمة وحدها. وهو ما يقابل صلاة الفذ في الفقرة الأخيرة من هذا الكتاب. إن المسلمين ليسوا كلهم علماء، وإنما فيهم أميين، لم يتعلموا القراءة ولا الكتابة. وقد كلأهم الله برعايته فشرع لهم برحمته الواسعة وعدله المطلق، وجعل لهم ذكرا ميسورا ميسّرا فبسط أمامهم أسماءه الحسنى يحصونها ويذكرونه بها، وقد وعدهم بثواب مماثل لما وعد به العلماء والمتعلمين. وهذا فضل الله ورحمته يمن بها على من يشاء بما يشاء وكيف يشاء وهو ذو الفضل العظيم. فقال ﷻ ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴾ [البقرة:١٥٢].

وقال في الحديث القدسي:

« أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملأه » سبق تخريجه.

عرف ذلك الصالحون من عباد الله، وعلموا بيقين أن في بسط الله أسماءه الحسنى أمام عباده جميعاً ينطوي على رحمة منه وإحسان للذين لم يتعلموا القراءة والكتابة، لينكبوا على ذكر الله بها، فينعمون بعطاياه ﷻ. ليدركوا أهل الفضل من أهل العلم، ويلحقوا بهم، فينعمون معهم برضوان الله وجناته ليكون لهم فيها النعيم المقيم.

عرف هؤلاء الصالحون لذة الذكر، وذاقوا حلاوته فنذروا أنفسهم لتعليم من حرموا القراءة والكتابة ذكر الله بأسمائه الحسنى.

ومن هؤلاء الصالحين الأتقياء الأذكياء أعرف الشيخ الجليل « سيدي أبا خليل » أستاذي وشيخي مؤسس الطريق الخليلية رحمه الله رحمة واسعة وجزاه الله عن أولاده صلباً وعهداً خير الجزاء وأوفاه فقد نهل من مورد الذكر شراباً حلو المذاق، وتلألأت أمامه أنوار الأسماء الحسنى، فألهمه الله اختيار ثلاثة عشر اسماً منها هي:

١) لا إله إلا الله « معناه لا معبود بحق إلا الله ».

٢) الله « علم على الذات العلية ».

٣) هو « حاضر لا يغيب ».

٤) حي « دائم الحياة ».

٥) واحد « لا ثاني له ».

٦) عزيز « لا نظير له ».

٧) ودود « كثير الود لعباده ».

٨) حق « ثابت لا يتغير ».

٩) قهار « يقهر ولا يقهر ».

١٠) قيوم « قائم بأسباب مخلوقاته ».

١١) وهاب « كثير العطاء ».

١٢) مهيمن « مطلع على أفعال مخلوقاته ».

١٣) باسط « يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ».

ولقد تولى نجله خليفته سيدي الشيخ « إبراهيم محمد أبو خليل » إرشاد تلاميذه، فعرفهم منزلة الذكر بين العبادات وعرفهم كيف يذكرون فقال في رسالته المكتوبة «الرياضة الروحية» ما يأتي:

« وآدم ذكر الله تعالى ليلا بأسمائه الحسنى».

وأجمعها وأشملها وأوفقها، وأتمها وأعمها الأسماء التي أمرت بها، على ألا يقل الذكر في أية ليلة بحال من الأحوال عن ساعة تفرغ فيها قلبك لله، فتخليه من أهلك، وخلك وزوجك وولدك، وذويك، ورزقك ودنياك.

وبالجملة تشعر نفسك وجوارحك الخوف لمقام الله بالتبتل والتشمير لطاعته والتقرب إليه والتخلي عن كل ما سواه، موقنا أنه بك أولى وأحفى وأرحم، مستعينا به في خلوة قلبك لتكون مع الأرواح الطاهرة الذكية، التي تأنس إليها ثم تنصرف إلى

معنى الاسم الذي تذكر. فإن زدت مدة الذكر عما جعلناه حدا أدنى لك، فهي زيادة في الرقى على شرط أن تترك الذكر وأنت تشتهيه ليستديم لك الشوق. فإن زدت وأنت على سأم كنت كالمنبتّ لا أرضا قطع ولا ظهر أبقى، والجهاد في الذكر عند أولى الفطن منصرف إلى تركيز الإرادة والقوة الروحية في معنى الاسم المذكور والانصراف عن كل ما يشغل عنه حتى لا تتعثر الروح في العروج إلى مقامات السالكين. فإذا وفقت إلى ذلك فافعل ما بدا لك مما به تصير أهلا للعطاء، تكرم بمقام الربانيين المشار إليه في الحديث ولا حرج على فضل الله، فقد تحقق وتعطى وتمنح ما تتضاءل دون بلوغه الآمال من مقامات العبودية الخالصة للملك القدوس العزيز الحكيم.

وإياك والفتنة والغرور بما تجد من أنس ولذة من ذلك!!! فإن للشيطان مداخل خفية يجد فيها سبيلاً إلى القلوب، إلا عباد الله المخلصين!!!

« من ذلك أن متعبداً كان يأتيه الشيطان في صورة رجل بيده قنديل ينير له الطريق إلى المسجد كل سحر ثم يختفي فلم يفز الشيطان منه بطائل ».

انتهى كلام الشيخ الجليل العارف بالله الشيخ « إبراهيم محمد أبو خليل ﷺ » ولقد التقى هذا الكلام الجميل، والعلم الفياض مع العلم الحديث في كتاب المغفور له أستاذنا الجليل الدكتور « محمد عثمان نجاتي » أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة والعالم العربي «القرآن وعلم النفس». الطبعة الثانية منقحة طبعة « الشروق » {١٩٨٥}ص {٢٧٩} واستزادة من علم هذا الأستاذ الجليل، وحرصاً على استعاذتي واستعاذة القارئ والقارئة لهذا البحث أنقل ما ورد بكتابه بالحرف الواحد بعنوان الذكر:

إن مواظبة المؤمن على ذكر الله تعالى بالتسبيح والتكبير والاستغفار، وتلاوة القرآن تؤدى إلى تزكية نفسه صفاءها وشعورها بالأمن والطمأنينة.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾

[الرعد:٢٨].

﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآيِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠].

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

وبقول الرسول ﷺ:

« ذكر الله شفاء القلوب » رواه الديملى عن أنس. انظر«حسن محمد الشرقاوى» نحو علم نفس إسلامي الإسكندرية الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.ت) ص٣٠٠.

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لا يقعد قوم ويذكرون الله ﷻ إلا وحفتهم الملائكة وغشيهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده**» رواه مسلم وأبو داود والترمذي. ورواه ابن ماجة عن ابن سعيد انظر «حسن محمد الشرقاوى» المرجع السابق ص{٢٩٩}.

وحينما يداوم المسلم على ذكر الله تعالى. فإنه يشعر بأنه قريب من الله تعالى، وأنه في حمايته ورعايته. ويبعث ذلك في نفسه الشعور بالثقة والقوة. والشعور بالأمن والطمأنينة والسعادة. قال تعالى:﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ ﴾ [البقرة:١٥٢].

ويقول الرسول ﷺ: « إن الله تعالى يقول: أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه » رواه الإمام الشعراني في كشف الغمة انظر حسن محمد الشرقاوى المرجع السابق ٢٩٩٠ .

ويقول أيضا ﷺ « عليك بذكر الله وتلاوة كتاب الله فإنه نور في الأرض وذكر لك في السماء ». رواه أبو يعلى عن أبي سعيد ومحمد حسن الشرقاوى ص {٣٠٣}، وذكر الله، إذ يبعث في النفس الطمأنينة فهو بلا شك علاج للقلق الذي يشعر به الإنسان حينما يجد نفسه ضعيفاً عاجزاً أمام ضغوط الحياة وأخطارها لا سند له ولا معين.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه:١٢٤].

إن الذكر عبادة من أفضل العبادات « حسن محمد الشرقاوى » المرجع السابق ص ٢٢٨،٢٢٩. قال الله تعالى في فضل الذكر:﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ ﴾[العنكبوت: ٤٥].

وفي الواقع إن جميع العبادات ذكر، أو تساعد على الذكر، ففي الصلاة يقوم المصلي بتكبير الله، وتلاوة القرآن، وتسبيح الله راكعاً وساجداً، وحمد الله والثناء عليه، والصلاة على النبيّ. ثم يعقب الصلاة الاستغفار وتسبيح الله وحمده وتكبيره.

وعن أبي موسى ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه مثل الحي والميت». رواه الشيخان أنظر «منصور على ناصف»: التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول ﷺ ط٤ دار الفكر ج٢ ص٣٣٢ وجزء (٥) ص٨٧. والدعاء له، وكل ذلك ذكر. وقد قال الله عن الصلاة:﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾ [طه:١٤].

وفي الصوم طاعة الله تعالى. وابتعاد عما يغضبه، وتعظيم له، وشكر له على هدايته، وكل ذلك ذكر وقد قال الله تعالى عن الصوم:-

﴿ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[البقرة: ١٨٥].

وفي الحج: يتفرغ المسلم للصلاة والدعاء والابتهال لله والقيام بمناسك الحج وكل ذلك ذكر وقد قال الله تعالى عن الحج:﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾

[الحج: ٢٧-٢٨].

وقال تعالى عن رمى الجمار:

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٣]. والمؤمن الذي يريد أن يسير في طريق التقرب إلى الله تعالى لا يكتفي بذكر الله كل يوم أثناء الصلاة فقط. وإنما يقوم

أيضاً بذكر الله كثيراً خارج الصلاة. وذلك بالإكثار من التسبيح والتكبير والابتهال والدعاء. وإن التقرب إلى الله تعالى عن طريق العبادات وتلاوة القرآن والأوراد والأدعية إنما يعمل على تعميق الإيمان في القلب. وبث الشعور بالأمن والسكينة في النفس.

انتهى كلام الأستاذ الجليل الدكتور «محمد عثمان نجاتي» -رحمه الله- في الذكر.

مما سبق يتبين أن الذكر يساهم في بناء شخصية المسلم بناء سليما. بحيث تصبح هذه الشخصية متكاملة على اتصال دائم بالله ﷻ تستلهمه الخير، وتحققه على أرض الواقع قولاً وفعلاً، وبه تتوافق ويتوافق صاحبها مع المجتمع فيعيش معه سعيداً. راضياً عن نفسه، ويرضى عنه المجتمع، ويرضى عنه الله ﷻ. وهذا هو أسمى الغايات التي يسعى إليها ويسعد بتحقيقه.

ذكر الله في جماعة

ذكر الجماعة

تحدثت في الصفحات السابقة عن « ذكر الفذّ » أي ذكر الفرد وأتحدث الآن عن ذكر الجماعة.

وإذا كانت صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة فإنه بالقياس فإن ذكر الجماعة يفضل ذكر الفرد بسبع وعشرين درجة، إذ أن الصلاة لا تعدو أن تكون ذكراً من الذكر.

يجب على السادة الفقهاء أن يضمنوا كتب الفقه باباً يطلقون عليه « فقه الذكر » على أن يكون هذا الباب في مقدمة أبواب الفقه حتى يتبوأ الذكر مكانته في وجدان كل مسلم ومسلمة وهى المكانة التي رفعه إليها القرآن الكريم وسنة سيدنا رسول الله ﷺ تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وأدعو الله ﷻ أن يمكنني من القيام بهذا الأمر إذا كان في العمر بقية.

وذكر الجماعة ورد في السنة النبوية الشريفة في أحاديث صحيحة:

١) روى الإمام البخاري والإمام مسلم «الشيخان» رضي الله عنهما عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإن وجدوا قوماً يذكرون الله، تنادوا: هلمّوا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم: ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون، يسبحونك ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله! ما رأوك قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك ما كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيداً وأكثر لك تسبيحاً. قال: يقول فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله! يا رب ما رأوها قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله! ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً، وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول مَلَك من الملائكة: فيهم فلان: ليس منهم؛ إنما جاء لحاجة: قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم** » كتاب الدعوات- باب فضل ذكر الله ﷻ. من صحيح البخاري ومسلم

٢) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: يقول الله تعالى: « **أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشى أتيته هرولة**». متفق عليه وأخرجه البخاري في كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه.

٣) عن أبي سعيد الخدري قال:

« **خرج معاوية على حَلَقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تُهَمَة لكم. وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني. وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونَحْمَدُه على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا. قال:« آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا؟ والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما أني لم استحلفكم تهمة لكم ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله ﷻ يباهي بكم الملائكة** ». رواه الإمام مسلم في كتاب الذكر- باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه.

٤) عن أبي مسلم أنه قال: أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على النبي ﷺ أنه قال:« **لا يقعد قوم يذكرون الله ﷻ إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده** ». وحدث به زهير بن حرب عن عبد الرحمن عن شعبة في هذا الإسناد نحوه. صحيح مسلم.

٥) عن أنس بن مالك ﷺ قال:

« **كان عبد الله بن رواحة إذا لقي الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: تعال نؤمن بربنا ساعة: فقال ذات يوم لرجل فغضب الرجل فجاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله!! ألا ترى ابن رواحة يرغب عن إيمانك إلى إيمان ساعة!! فقال النبي ﷺ يرحم الله بن رواحه إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة**». رواه أحمد بإسناد حسن.

٦) عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله ﷻ لا يريدون إلا وجهه، إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفور لكم قد بدّلت سيئاتكم حسنات** ». ورواته محتج بهم في الصحيح.

ثمرات الذكر في جماعة

ها قد ثبت عندي بيقين مشروعية الاجتماع على ذكر الله ﷻ، وعلمت بحق اليقين أنه مندوب وأن سيدنا رسول الله ﷺ تبارك وتعالى عليه وعلى آله وأصحابه وسلم حبّبَ المؤمنين فيه، ووعدهم بذلك بجوائز أربع هن نزول السكينة عليهم، وغشيان رحمة الله لهم وذكر الله ﷻ لهم. وربط ذلك بشرط أن يكون ذكر الله هو الذي يبتغونه فقط وليس غرض آخر من حطام الدنيا الزائل.

وقد عرف أهل الحق والحكمة والمعرفة من علماء الصوفية لهذا الذكر قدره، فعقدوا مجالس خاصة به يجمعون من بين تلامذتهم الملتزمين، ومريديهم الراغبين في إصلاح نفوسهم، والمندفعين بأشواقهم الروحية في طريق الوصول إلى رضا الله ربّ العالمين، والطامعين في عفو الله ورحمته وإحسانه، والعازمين في إصرار على جلاء قلوبهم، وتصفية سرائرهم، وانشراح صدورهم وتواصل أرواحهم، بتجلي الله ﷻ عليهم وأطلقوا على هذه المجالس مسمي يميزها وهو « **الحضرة** » خصصوا لها الأوقات والأمكنة. باذلين الجهد والطاقة والصحة في مرضاة الحق ﷻ ذكرا له بأسمائه الحسنى من أسماء الجمال وأسماء الكمال وأسماء الجلال وهنا مراتع الأرواح، حيث تجلي القلوب، وتنتعش الأرواح وتنشرح الصدور، وتطمئن الأفئدة، وتتحد الأصوات بذكر الأسماء الحسنى، والصفات العليا وتخلص القلوب لبارئ الأرض والسموات، وتقشعر الجلود من هيبة المتجلي، ثم تلين من جمال الرحمن الرحيم، فتطرد أنوار الحق ظلمات الباطل، وتطرد أشواق الأرواح شهوات الأجساد، وتطرد أشعة الصفاء كدرات المادة، فإذا بالإنسان الذاكر يصير خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين.

ومن هذا يتبين لكل ذي بصيرة أن « الذكر » في الواقع نعمة من الله ﷻ ينعم بها على عباده الذاكرين، وقد اعترف بهذه النعمة مَنْ ذاقها ومنهم « سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري » الذي يقول في حكمة ضمن حكمه:

« أكرمك بكرامات ثلاث: جعلك ذاكرا له، ولولا فضله لم تكن أهلاً لجريان ذكـــره عليك، وجعلك مذكورا به إذ حقق نسبيته لديك، وجعلك مذكورا عنده فتمم نعمته عليك ».

يقول أبو عبد الله محمد ابن إبراهيم بن عباد النفرى الرندى في كتابة شرح الحكم العطائية- الجزء الثانى ص١٩١- ١٩٣ تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والـــدكتور محمود بن شرف طبعه مطبعه السعادة. ما يأتي:

أكرم الله تعالى عبده المؤمن بثلاث كرامات: جمع له فيها كل المفاخر والمحامد.

أولها: كونه ذاكراً له: بأن أجرى ذكره على قلبه ولسانه ومن أين له ذلك؟ وبأي وسيلة ناله لولا فضل الله تعالى وكرمه.

وثانيها: كونه مذكورا به: فيقال: هذا عبد الله، ووليه، وصفيه، ومختاره، وذلك بما أكرمه الله به من تحقيق النسبة إليه، وهى إثبات الخصوصية له.

ثالثهما: كونه مذكورا عنده.

وهذه هي غاية الإكرام، ومنتهى الفضل والأنعام، قال الله تعالى:

﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. قيل معناه: ذكر الله عبده أكبر من ذكر العبد لله.

وفي حديث أبي بن كعب ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقرأ عليك القرآن. قال: قلت: يا رسول الله سّماني لك ربّك؟ قال: نعم فقرأ على:﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

وفي حديث أبي حيَّة البدرى: ﷺ، قال: لما نزلت سورة ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ قال جبريل الطَّيِّلاً: إن ربك يأمرك أن تقرئَها أُبَيّا. فقال النبي ﷺ لأُبيّ: « إن جبريل أمرني أن أقرئك هذه السورة فقال «أبي» أو ذكرت ثَمَ يا رسول الله؟! قال نعم. فبكى » حديث صحيح

رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ثم استشهد الشيخ النفرى بحديث أبي هريرة « أنا عند ظن عبدي بي...»

وبحديث أبي هريرة: «ما جلس قوم مسلمون مجلسا يذكرون الله...» وقد سبق ذكرها في الصفحات السابقة وختم الشرح بعبارة قالها « يحي بن معاذ » ﷺ يقول فيها « يا غفول!! يا جهول!! لو سمعت صرير القلم حين يجرى في اللوح المحفوظ بذكرك لَمُتَّ طربا ». انتهى كلام الشيخ « أبي عبد الله محمد النفرى » ﷺ من هذا قد تبين لنا بوضوح وجلاء مزايا ذكر الله في جماعة، وهى الثمرات التي يجنيها الفرد والمجتمع، وهي: نزول السكينة عليهم، وغشيان الرحمة لهم، وحفوف الملائكة، وذكر الله لهم فيمن عنده.

وأما الثمرة الخامسة التي يجنيها الفرد والمجتمع في وقت واحد فهي الحب في الله ونتكلم في كل ثمرة من هذه الثمرات في فقرة على حدة.

١) **السكينة:**

السكينة نعمة عظمى ويمكن تعريفها بأنها السلام النفسي وهي حالة تعترى الإنسان فيشعر بسعادة غامرة وتعطيه الرضا عن نفسه وأحواله، وعلاقاته، وتفاعله مع الآخرين مع شعوره برضا الله عنه، في قوله وفعله.

فإذا شعر برضا الله عنه على هذا الصورة، فإن السكينة تدفعه إلى الإكثار من فعل الخير، وتجنب فعل الشر وتعبير سيدنا رسول الله ﷺ تبارك وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم بقوله « نزلت عليهم السكينة » يدل على أن الله ﷻ هو الذي يترلها عليهم وهذا التجلي الأعظم من الله ﷻ عليهم يكسبهم الخشوع والهدوء، والطمأنينة ويعقب ذلك كله لذة روحية لا تعدلها لذة. عبر عنها إمام القوم « الجنيد » ﷺ فقال: « نحن في لذة لو شعر بها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف » ويكفى لاستقرار القلب أن يترل عليه السكينة من الله الرحيم، ويكفى لاستقرار القلب أن تترل عليه السكينة من الله الكريم.

٢) **وغشيتهم الرحمة:**

الرحمة هنا رحمة الله ﷻ، تغشى جميع من في مجلس الذكر، حتى الذي لم يحضره للذكر، وإنما جاء لحاجة فهم القوم لا يضام جليسهم، ولا يحرم مما أسبغ الله عليهم من عطاء أوله الرحمة.

ورحمة الله ﷻ واسعة، إذا أنعم بها على عبد فقد تمتع بعفو الله عن كل ذنوبه، وتنمية الله لكل حسناته، وأيضاً يفوز بالنجاة من الهم والغم والكرب العظيم، وإنه ليشعر بيد الله ﷻ تمسح عنه السقم والسأم، والملل، والقلق والأرق، واليأس، ويبصر بعينه سكوب النور الإلهي يدلف إلى قلبه، فيغسله من الكدرات والعوالق من الشهوات والأطماع، ويكشف عنه تراب الدنيا، وظلمات المادة فيعبر القلب عن ألق الفطرة، فتسطع أنوار الحق في وجدانه تكشف له الحقائق فيرى الدنيا على حقيقتها، متاعاً زائلاً، وظلاً حائلاً فينصرف عنها، ويقبل على الله يلتمس الرضا، ويطلب القبول، ويرفع كفيه ضارعاً إلى الله ملحفاً في الدعاء بما سبق من دعاء نبي الله « سليمان الحكيم » ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

[النمل:١٩].

ويتذكر فوراً أن رحمة الله ﷻ هي كتر النبيين والمرسلين من عهد «آدم» إلى أشرف الخلق سيدنا «محمد» النبي الخاتم صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

١) ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

٢) ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[هود:٤١].

٣) ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

[البقرة:١٢٧-١٢٨].

٤) ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾[هود:٥٨].

٥) ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴾ [هود:٦٦].

٦) ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ [هود:٩٢].

٧) ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[هود:١١٨-١١٩].

٨) ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[يوسف: ٩٢].

٩) ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٥].

١٠) ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ [مريم:١-٢].

١١) ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٢١].

١٢) ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٦].

١٣) ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

١٤) ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨].

١٥) قال سيدنا رسول الله ﷺ تبارك الله وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم:

« والله لا يدخل أحدكم الجنة بعمله. قيل ولا أنت يا رسول الله. قال: ولا أنا حتى يتغمدني الله برحمة منه وفضل ».

أرأيت أيها الأخ الذاكر في جماعة، وأنت أيتها الذاكرة في جماعة. كيف تغشى الرحمة رحمة الله مجلس الذكر وأنتما معه لا يحرم منها أحد حتى الذي جاء لعلة، وهو ليس منكم، لأنكم القوم الذي لا يضام جليسكم؟.

إنها رحمة الله الواسعة أدعو الله ﷻ أن يديمها علينا نعمة منه سبحانه يتفضل بها علينا في نومنا وفي يقظتنا في حركاتنا وفي سكناتنا، في حياتنا وفي مماتنا، في قبورنا وفي بعثنا، وفي نشورنا وبين يدي مولانا أيها الذاكرون الله في جماعة والذاكرات هيا ندعو الله ﷻ بهذا الدعاء الذي أخبرنا الإمام الفضيل « بن عياض » شيخ المحدثين أن سيدنا رسول الله ﷺ تبارك الله وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم كان يدعو به وذلك في كتاب الشفاء الجزء الأول ص{ ٦١ }.

« اللهم إني أسألك رحمة من عندك، تهدي بها قلبي، وتجمع بها أمري، وتلمّ بها شعثي، وتصلح بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتلهمني بها رشدي، وترد بها أُلْفَتِي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم إني أسألك الفوز في القضَاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، والنصر على الأعداء ».

٣) وحفتهم الملائكة:

تحف الملائكة مجلس الذكر فرحاً بما يفعلون.

تحف الملائكة الذاكرين الله في جماعة حراسة لهم من الشياطين، وحفظاً لهم من وسواسهم وهمزاتهم.

تحف الملائكة الذاكرين الله في جماعة لأنهم يعلمون علم اليقين أن الله معهم وهو الملك القدوس وفي حضور الملائكة مجالس الذكر في جماعة سبب من أسباب الأمل في رحمة الله لهم فالملائكة بذكر الله يفرحون، وبالذاكرين يسعدون يأتنسون، فإذا انصرفوا إلى ربهم شهدوا للذاكرين ودعوه ﷻ لهم بالمغفرة والعفو، والرضا والجنة لهم فيها نعيم مقيم:

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [غافر: ٧-٩].

وهكذا يكون من يرحمه الله يفز بسعادة الدارين وذلك هو الفوز العظيم.

٤) وذكرهم الله فيمن عنده:

يالها من سعادة لا تعدلها سعادة من حاز ذهب الدنيا وماسها.

يعجز كل الخلق أن يصوروا سعادة من يذكره الله فيمن عنده. بل أنهم يعجزون عن تصورها. لأنها فوق الإدراك، وما كان فوق الإدراك يقصر عن تصوره الإدراك. فلنسلّم لله ﷻ ليصف لنا بعض ثمرات ذكر الله فيمن عنده- للذاكرين.

١) ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران:١٥].

٢) ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٧٢].

٣) ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴾ [الرعد: ٢٨-٢٩].

٤) ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٩١-١٩٥].

٥) ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

[الحديد:٢٨].

إذن رحمة الله هي الكتر الذي يلح في طلبه الأنبياء والمرسلون والأتقياء والصالحون، والأولياء والعارفون، من الله يهتدون، وبطاعته يسعدون، فإذا كان الأمرَ كذلك فإن مجالس الذكر يجتمع فيها الذاكرون الله كثيراً والذاكرات في حلق منظومة بحبل الله المتين، ونوره المبين، يسبحون الله ويحمدون، ويهللون ويكبرون. تصبح بحق كما وصفها سيد المرسلين وإمام المتقين أشرف الخلق سيدنا « محمد » ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم هي رياض الجنة. روادها السعداء. ويحق لنا أن نسميها مجالس السعداء، اللهم اجعلنا منهم، واجمعنا بهم، وأسعدنا بصحبتهم، واجعلنا وإياهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [يونس: ٩-١٠].

إن الله يرغبنا في رحمته، ويدعونا إلى طلبها منه، ويشير إليها بما يفيد قربها منا فحثوّا السعي إليها، وألحوا على الله في طلبها. فهو يقول ﷻ في محكم التتريل:

﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

إن الفساد صنع الغافلين، والإحسان شيحة الذاكرين، اللهم اجعلنا من الذاكرين لنكون من المصلحين، وألهمنا شكرك على أن جعلتنا مسلمين. آمين. آمين وصل اللهم وسلم وبارك على أشرف الخلق أجمعين، الذي أرسلته رحمة للعالمين عبدك ونبيك ورسولك « محمد » الصادق الوعد الأمين، أيها الأخوة المسلمون والأخوات المسلمات هلموا إلى حلق الذكر لتكونوا من الفائزين.

حب الله:

١) ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

٢) ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤].

٣) ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [البقرة:١٦٥].

يقول الأستاذ الدكتور « محمد عثمان نجاتي » في كتابه « القرآن وعلم النفس » ص ٨٤.

إن ذروة الحب عند الإنسان، وأكثره سموًا وصفاء وروحانية هو حبه لله ﷻ، وشوقه الشديد إلى التقرب لا في صلواته وتسبيحاته ودعواته فقط، ولكن في كل عمل يقوم به، وفي كل سلوك يصدر منه إذ يكون توجهه في كل أعماله وتصرفاته إلى الله ﷻ راجياً منه تعالى القبول والرضوان.

وحب المؤمن لله يفوق حبه لأي شيء آخر في الحياة. يفوق حبه لذاته، ولأبنائه ولزوجته ولأبويه ولأهله ولأمواله.

وحينما يخلص الإنسان في حبه لله، يصبح هذا الحب هو القوة الدافعة الموجهة له في حياته، وتخضع كل أنواع الحب الأخرى لهذا الحب الإلهي، ويصبح إنساناً يفيض بالحب للناس والحيوان وجميع مخلوقات الله والكون بأسره، ويرى في كل الموجودات من حوله آثار ربه الذي تشده إليه أشواقه الروحية وتعلقاته القلبية.

الثمرة الخامسة: الحب في الله:

إذا تجمع المؤمنون في حلق الذكر لا يجمعهم إلا الذكر ولا يقصدون إلا وجه الله، مخلصين له الدين حنفاء فتنشأ بينهم علاقة تربط بينهم هي أعلى العلاقات وأسماها عند رب العالمين، ألا وهي علاقة الحبّ في الله، فيصيرون متحابين في الله.

وإننا لن نجد تعريفاً للحب في الله، والمتحابين في الله أجمل من تعريف سيدنا «محمد » ﷺ تبارك وتعالى عليه في هذا الحديث الشريف الذي رواه أبو داود عن سيدنا أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن من عباد الله قوما: ليسوا أنبياء، ولا شهداء، ولكن يغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانهم من الله تعالى يوم القيامة، فقام رجل في مؤخرة المجلس وأشار بيده لرسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله، قوم ليسوا أنبياء ولا شهداء ويغبطهم الأنبياء والشهداء لمكانهم من الله تعالى يوم القيامة؟ انعتهم لنا يا رسول الله!! فقال رسول الله ﷺ: هم قوم تحابوا في الله، اجتمعوا على محبة من الله تربطهم، ولا أنساب تجمع بينهم، ولا أموال يتقاسمونها، والله إنهم لنور، وإنهم لعلى نور، تنصب لهم كراسي من نور حول العرش، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يجزعون إذا جزع الناس، ثم تلا قول الحق ﷻ ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[يونس: ٦٢-٦٤].

وأول الحب في الله ﷻ وحب سيدنا رسول الله ﷺ ثم حب المؤمن لإخوانه:

انتهى كلام الأستاذ الدكتور «محمد عثمان نجاتي» رحمه الله.

حب سيدنا رسول الله ﷺ:

يخلو المؤمن إلى نفسه، ويتابع نبضات قلبه الذي أترع بحب الله ﷻ، ويتابع ما أنعم الله به عليه من إيمان يمكنه من صالح القول والعمل، ويدفعه إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ومعاملة إخوانه المسلمين بما يرضى الله ﷻ، فيذكر على الفور هذا النبيّ

العظيم، والرسول الكريم أشرف الخلق سيدنا «محمدا» ﷺ، ويذكر مناقبه الشريفة، وجهاده الطويل، وسهره الليل، وكفاحه، بالنهار، وغزواته المتتابعة المتلاحقة، وتعبه في الليل والنهار، وقيامه الليل حتى تورّمت قدماه الشريفتان، وكل ذلك يضاف إلى ما تحمله عند نزول الوحي عليه، ومن مجادلته الكفار والمنافقين، ومن السهر على تربية أصحابه الغر الميامين، ويتذكر المؤمن أن سيدنا رسول الله ﷺ قد تحمل كل هذه المتاعب من أجل وصول الإسلام لكل المسلمين حتى تقوم الساعة نقياً صافياً رائقاً بما يتضمنه من عقيدة التوحيد الراسخة القوية، ومن فرائض الصلاة والزكاة والصيام والحج، ومكارم الأخلاق التي تشع أضواؤها في حياة الناس جميعاً، يستعرض المؤمن نعمة الإسلام وحلاوة الإيمان والسلام النفسي الذي يتمتع به فيجد أن الفضل في ذلك يعود بعد الله- إلى هذا النبي الكريم ﷺ وعند ذلك يتوهج حبه عليه الصلاة والسلام نوراً في قلبه يهديه به الله سبل السلام. ويكون هذا الحب الحلقة الثانية في سلسلة الحب في الله الذهبية النورانية فيتعمق هذا الحب في وجدانه وتفيح رائحته الطيبة عبيراً فياحاً على جوارحه سلوكا طيّباً، يسعد به ويسعد معه مجتمعه الذي يعيش معه.

يقول الأستاذ الدكتور « محمد عثمان نجاتي » رحمه الله رحمة واسعة في كتابه «القرآن وعلم النفس»: ص٨٦.

والمؤمن الصادق الإيمان يحمل كل الحب للرسول ﷺ الذي تحمل مشاق الدعوة، وجاهد جهاد الأبطال، حتى نشر الإسلام في ربوع العالم، ونقل الإنسانية من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية، وقد أوصانا القرآن بحب الرسول ﷺ وقرن حب الرسول بحب الله في الآية الرابعه والعشرين من سورة التوبة.

حب المؤمن إخوانه:

ثالث الحلقات في هذه السلسلة النورانية النفارية العسجدية وهى سلسلة الحب في الله. هي حب المسلم لإخوانه المسلمين. وقد طوى حديث سيدنا رسول الله ﷺ هذه السلسلة النورانية بحلقاتها الثلاث: فيما رواه الإمام البخاري ﷺ والإمام مسلم ﷺ

١) عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا الله، ومن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يقذف في النار** ».

٢) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: أن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فرصد الله على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك عليه من نعمة تربها؟ قال: لا غير أني أحبه في الله قال: فإني رسول الله إليك: إن الله قد أحبك كما أحببته فيه. رواه مسلم.

وإن الثمرات التي يجنيها المؤمن من الحب في الله كثيرة وجليلة، منها حلاوة الإيمان في قلبه يذوقها وينَعم بها، ومنها الوفاق الاجتماعي بينه وبين مجتمعه، ومنها وأولها حب الله ﷻ له، هذا الحب الذي يؤهله لمراتب عالية في الأرض وفي السماء.

قال سيدنا رسول الله ﷺ: «**إذا أحب الله عبداً نادى جبريل فقال يا جبريل إني أحب عبدي فلاناً فأحبه. فيحبه جبريل. ثم ينادى جبريل في أهل السماء « يا أهل السماء!! إن الله قد أحب عبده فلاناً فأحبوه!! فيحبه أهل السماء ويكتب له القبول في الأرض** » رواه الإمام البخاري.

ثم هو يمنح الأمن يوم القيامة حيث يكون في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله.

وإذا أحبه تمتع بما تضمنه الحديث القدسي الذي رواه الإمام مسلم.

« **من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بأفضل مما افترضته عليه، ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يسعى بها، ولإن سألني لأعطينه، ولإن استعاذني لأعيذنه** ».

وأما المجتمع فإنه يجنى من الحب في الله أطيب الثمرات نعمة الإخاء، والسلام الاجتماعي، والأمن والأمان وكل هذه النعم يكاد العالم يحرم منها بسبب ما يسوده من صراع على حطام الدنيا. هذا الصراع الذي يجعل القوى يفترس الضعيف، والدول

الغنية تلتهم الدول الفقيرة. ويعيش الجميع في قلق، وفي جزع، وفي حروب توشك أن تحرق نارُها الأرض كلها ومن عليها وما عليها من مخلوقات لا ذنب لها. والناس يشاهدون هذا الصراع المحتدم وهم يقولون « ويل للإنسان من أخيه الإنسان فحي على حب الله فإنه كفيل بإطفاء النار. وزرع الأرض بأشجار السلام!!

الذكر في جماعة وقاية من وسواس الشيطان:

حِلَق الذكر هي رياض الجنة التي يرتع فيها الذاكرون الله والذاكرات. ومع ذلك فهي حصن حصين للمؤمن يقيه وساوس الشيطان. لأن الشيطان لا يجرؤ أن يقترب من حلقة الذكر، وكلما حاول ذلك. لحقته أنوار الحق فيخنس ويولى هارباً وعلى ذلك إذا حضر مريض الوسواس إلى حلقة الذكر، فإنه يتمتع بحصانة ضد هذا الوسواس وفي الوقت نفسه، يطرده ذكره لله. فلا يبقى له أثراً يضره. فالشيطان لا يتمكن من الوسوسة للإنسان إلا إذا كان بمفرده، يعبث بعقله، ويلوث قلبه، ولكنه لا يستطيع ذلك والإنسان وسط جماعة يذكرون الله إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية.

وعلى ذلك فالذكر وقاية من مرض الوسواس، ودواء أيضاً. فإذا داوم المريض على الحضور إلى حلقات الذكر في جماعة، وواصل الذكر منفرداً. فإنه بفضل الله يشفى عاجلاً وتعود إليه روحه صافية مضيئة، ويعود إليه قلبه من يد الشيطان، فتطيب له مناجاة ربه ﷻ ومودة إخوانه، وسلامه النفسي، وصفاء نفسه، ونقاء قلبه، فلا ينطق إلا ذكراً ولا يصمت إلا فكراً، ولا يفعل إلا خيراً، ولا يحب إلا برًّا، ولا يكره إلا فاجراً، ولا يصحب إلا تقياً، ولا يأكل إلا حلالاً، ولا يشرب إلا مباحاً، ولا يسعى إلا إصلاحاً، ولا يظهر إلا حقاً، ولا يبطن إلا جمالاً، ولا يمشى إلا هَوْناً، ولا يقول إلا سلاماً، ولا ينفق إلا قواماً، ولا يشهد إلا حقاً. وهذه من صفات المؤمن التي يأمن بها من كل الآفات، ويتقى بها من كل أمراض القلب ومنها الوسواس. أقدمها للذي يصاب بمرض الوسواس القهري وبفضل الله يكون فيها الدواء. لكل من يتعاطاها من أصحاب هذا المرض.

المبحث الثالث
الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ

قال الله ﷻ في القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

في هذه الآية الكريمة التي تسطع في سورة الأحزاب يوجب الله ﷻ على كل مؤمن أن يصلى على سيدنا رسول الله ﷺ.

والمؤمن الصحيح الإيمان يشعر أن الله ﷻ يريد- والله أعلم بما يريد- أن يعلّم المؤمنين قدر سيدنا رسول الله ﷺ، ثم هو أعلم بما يريد- يريد أن يعلم المؤمنين الوفاء له عليه الصلاة والسلام فأمرهم ﷻ بالصلاة والسلام عليه.

ولا ريب أن لهج اللسان ترجمة لما يكنه الوجدان من تعظيم لحضرته ﷺ. وهذا في ذاته يوثق الصّلة به، ويدعم حبّ المؤمن له وحبه للمؤمن.

ووراء ذلك من الثمرات التي يجنيها المؤمنون على مر الدهور والأعوام ما نتحدث عنه في الصفحات القادمة إن شاء الله ﷻ.

وأرى قبل تفصيل الأدلة على وجوب الصلاة والسلام عليه ﷺ أن نفهم معنى الصلاة هذه قال الإمام «ابن كثير» في تفسيره للآية {٥٦} من سورة الأحزاب المذكورة ما يأتي:

١) قال البخاري: « قال أبو العالية »: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

٢) وقال ابن عباس- رضي الله عنهما: يصلون يبرّكون.

٣) وقال سفيان الثوري ومعه فريق من أهل العلم: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار.

٤) عن «عطاء بن أبي رباح»: إن الله وملائكته يصلون على النبي، « قال: صلاته تبارك وتعالى سبوح قدوس سبقت رحمتي غضبي ».

٥) وأما ما قاله «ابن كثير» نفسه في هذه الآية:

والمقصود من هذه الآية أن الله ﷻ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيّه عنده في الملأ الأعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلى عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والسلام عليه ليجتمع الثناء عليه من أهل العالَمَيْن العلوي والسفلي جميعاً.

والله ﷻ أخبر في القرآن بأنه يصلى على عباده المؤمنين فقال تعالى:﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾

[البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وفي الحديث « إن الله وملائكته يصلون على ميامين الصفوف ».

وبعد أن عرفنا معنى الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ نتشرف بأن نذكر بعض الأحاديث الدالة على وجوب الصلاة عليه:

١) روى الإمام البخاري ﷺ عن كعب بن عجرة قال: قيل يا رسول الله!! أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة: قال: قولوا: « **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد** ».

والرواية المجمع عليها تقول: « **اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد** ». وهي الصيغة التي أقرها الإمام « الشافعي » وقال: « من تركها لا تصح صلاته ».

٢) قال الإمام أحمد عن عاصم بن عبيد الله قال: سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من صلى عليَّ صلاة لم تزل الملائكة تصلى عليه ما صلى على فليقلَّ ذلك أو يكثر** » ورواه بن ماجة عن شعبه به.

٣) الإمام الترمذي: عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال:« **أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة** ». قال الترمذي حديث حسن غريب.

٤) صحيح مسلم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « **من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً** ».

٥) وفي سنن أبي داود والنسائى وابن ماجه بالأسانيد الصحيحة عن أوس بن أوس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا على من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة على. فقال يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمتَ:؟** « **قال يقول بليت** » **قال: إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء**».

٦) سنن أبي داود. في آخر كتاب الحج: بإسناد صحيح.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تجعلوا قبري عيداً. وصلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم** ».

٧) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من أحد يسلم علي إلا ردّ الله على روحي حتى أرد عليه السلام** » أبو داود.

٨) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلى على** » الترمذي وقال حديث حسن.

٩) جاء في سنن أبي داود والترمذي والنسائي عن فضالة بن عبيد ﷺ قال: «**سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمّجد الله تعالى، ولم يصل على النبي ﷺ**

وعلى آله وصحبه وسلم فقال رسول الله ﷺ: « **عجل هذا. ثم دعاه فقال له أو لغيره:**« **إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه سبحانه، والثناء عليه. ثم يصلى على النبي ﷺ. ثم يدعو بعد بما شاء** ». قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

فقه الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ تبارك وتعالى عليه وعلى آله وأصحابه وسلم:

من كتاب « الشفا بتعريف حقوق سيدنا المصطفى» للقاضي عياض ﷺ الجزء الثاني ص٥١ وما بعدها:

١) ***معناها:*** قال ابن عباس: « إن الله وملائكته يباركون على النبي. وقيل إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له. قال المبرِّد « وأصل الصلاة » الترحم فهي من الله رحمة، ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله ».

وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة « اللهم اغفر له اللهم ارحمه » فهذا دعاء قال القشيرى:

« الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي ﷺ رحمة، وللنبي ﷺ: تشريف وزيادة تكرمة.

وقال أبو العالية: « صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء ».

قال القاضي أبو الفضل:

« وقد فرق النبي ﷺ في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة، ولفظ البركة فدل أنها بمعنيين ».

أما التسليم الذى أمر الله تعالى به عباده فقال القاضى أبو بكر بن بكير: نزلت هذه الآية على النبي ﷺ: فأمر الله أصحابه أن يسلموا عليه، وكذلك من بعدهم أمروا أن يسلموا على النبي ﷺ عند حضورهم قبره، وعند ذكره.

وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه:

الأول: السلامة لك ومعك.

و تكون السلامة مصدر كاللذاذ واللذاذة.

الثاني: أي السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به. ويكون هنا السلام اسم الله.

الثالث: أن السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

حكم الصلاة على النبي ﷺ:

قال القاضي عياض:

« اعلم أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على الجملة، وغير محدد بوقت لأمر الله تعالى بالصلاة عليه، وحمل الأئمة والعلماء له على الوجوب، وأجمعوا عليه.

وحكى أبو جعفر الطبري: أن مَحْمَلَ الآية عنده على الندب وادعى فيه الإجماع، ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الجرم. ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوّة، وما عدا ذلك فمندوب. مُرَغَّب فيه من سنن الإسلام وشعار أهله.

قال القاضي «أبو بكر بن بكير»:

« افترض الله على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا تسليماً، و لم يجعل ذلك لوقت معلوم، فالواجب أن يكثر المرأ منها، ولا يغفل عنها ».

وقال الشافعي رضي الله عنه:

« الفرض منها الذي أمر الله تعالى به ورسوله ﷺ هو في الصلاة. وقالوا: وأما في غيرها فلا خلاف أنها غير واجبه » هذا رأى الإمام الشافعي رضي الله عنه قلت: والمقصود بأنها غير واجبه، أنها تكون في هذه الحالة نفلا من النفل باعتبار أنها فرض في الصلاة.

وأما رأي الجمهور: فحكى عنه الإمامان أبو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما:

إجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الأمة على أن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد غير واجبة. وشذ الشافعي في ذلك فقال:

« من لم يصل على النبي ﷺ من بعد التشهد الآخر قبل السلام فصلاته فاسدة، وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ».

ورأي الإمام الشافعي يختلف عن بقية الأئمة (والله أعلم).

مواطن الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ:

١) تستحب الصلاة على النبي بعد التشهد وقبل الدعاء أثناء الصلاة. والسند في ذلك حديث سيدنا رسول الله ﷺ:

عن فضالة بن عبيد قال: « **سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ**: (**عجل هذا**) **ثم دعاه فقال له: ولغيره: إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله، والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ﷺ، ثم ليدع بعد بما شاء**.

ومن السند أيضاً ما روى عن أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » أنه قال: «**الدعاء والصلاة معلق بين السماء والأرض فلا يصعد إلى الله منه شئ حتى يصلى على النبي ﷺ**» وقول أمير المؤمنين « عمر » هذا القول يؤخذ به في الاعتبار. لأنه ﷺ من أئمة الفقه ومن الخلفاء الراشدين المهديين.

قال ابن عطاء ﷺ:

« للدعاء أركان، وأجنحة، وأسباب وأوقات فإن وافق أركانه قوى. وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه نجح ».

فأركانه: « حضور القلب، والدعة والاستكانة والخشوع، وتعلق القلب بالله وقطعه من الأسباب. وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار. وأسبابه الصلاة على محمد ﷺ ».

٢) تستحب الصلاة والسلام عليه عند ذكره وسماع اسمه.

٣) وعند كتابة اسمه.

٤) وعند الأذان.

٥) في يوم الجمعة.

٦) عند دخول المسجد وعند الخروج منه.

٧) عند دخول بيت ليس فيه أحد فيقول « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ».

٨) عند الصلاة على الجنائز.

٩) في الرسائل المتبادلة بين المسلمين.

كيفية الصلاة على النبي ﷺ:

١) رواية أبو حميد الساعدى:

قالوا يا رسول الله: كيف نصلي عليك؟ فقال: « قولوا اللهم صلى على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ».

٢) عن الإمام الحسين بن على عن أبيه « على بن أبي طالب » كرم الله وجهه- ورضي الله عنهما- أجمعين قال: « عَدّهُنّ في يدي رسول الله ﷺ وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا أنزلت من عند رب العزة: **اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم تحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى**

آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم سلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ».

والجدير بالذكر أن الإمام « الفضيل بن عياض » ﷺ روى هذا الحديث بسنده الذي يبدأ بالشيخ القاضي أبو عبد الله التميمى ومعه اثنا عشر رجلاً آخرهم قبل سيدنا « على بن أبي طالب » ابنه الإمام الحسين بن على- رضي الله عنهم أجمعين وهو سيد شباب أهل الجنة.

٣) صلاة سيدنا « على بن أبي طالب » كرم الله وجهه ﷺ وأرضاه على سيدنا رسول الله ﷺ « **اللهم داحي المدحوات، وبادئ المسموكات، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفة تَحنّينكَ على « محمد » عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق، الدافع لجيشات الأباطيل، كما حمل فاضطلع بأمرك لطاعتك، مستوقراً في مرضاتك، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك، حتى أورى قبساً لقابس، آلاء الله تصل بأهله أسبابه، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم، وأبهج موضحات الأعلام، ونائرات الأحكام، ومنيرات الإسلام، فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة، ورسولك بالحق رحمة، اللهم أفسح له عدنك، وأجزه مضاعفات الخير من فضلك، مُهَنَّآت له غير مُكَدَّرات من فوز ثوابك المحلول، وجزيل عطائك العلول، اللهم أعل على بناء الناس بناءه، وأكرم مثواه لديك ونزله، وأتم له نوره، وأجره من ابتعاثك له مقبول الشهاده، ومرضى المقالة، ذا منطق عدل وخطة فصل، وبرهان عظيم**».

يا لها من صيغة جميلة جليلة جزله ورصينة، مضيئة ميمونة مباركة طيبه تؤتى أكلها بإذن ربها، ويا نعم ما تؤتى من ثمار طيبة، تفتح قلب سيدنا رسول الله ﷺ تبارك الله وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم لمن يقرأها ويتلوها، فترتسم صورته في قلبه عليه، عليه الصلاة والسلام فيعرف بها صاحبها يوم الدين. يوم يقوم الناس لرب

العالمين، فليشفع له بين يديه، فشفاعته تكون مقبولة عنده، ويحظى صاحبها بنعيم رضوان الله عليه، ويصَبِّب رحمته به في جنات النعيم.

جزا الله عَبده الفضيل « بن عياض » ﷺ خيراً عن سيدنا « على بن أبي طالب » كرم الله وجهه وﷺ وعنَّا وعن كل مسلم يتلو هذه الصيغة المباركة آمين وصل اللهم وسلم وبارك على أشرف خلقك سيدنا « محمد » النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

٤) وعنه أيضا: في الصلاة على الرسول ﷺ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[الأحزاب: ٥٦].

لَبَّيْكَ اللهم ربى وسعديك، صلوات الله البر الرحيم، والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وما سبح لك من شئ يا رب العالمين، على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك السراج المنير وعليه السلام.

٥) عن عبد الله بن مسعود كان يصلى على سيدنا رسول الله ﷺ بهذه الصيغة من عنده من إلهام الله له شخصياً « اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك إمام الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاما محموداً، يغبطه فيه الأولون والآخرون.

اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ».

٦) الحسن البصري يصلى على سيدنا رسول الله ﷺ بهذه الصيغة:

« اللهم صلى على محمد وعلى آله وأصحابه وأولاده وأزواجه وذريته وأهل بيته، وأصهاره وأنصاره، وأشياعه ومحبِّيه، وأمته وعلينا معهم أجمعين يا أرحم الراحمين ».

وعلى هذا الطريق من حب سيدنا رسول الله ﷺ، والبحث عن صيغ تستكمل عناصر الصلاة والسلام عليه، تفنّن كثير من العارفين، وأهل التصوف السالكين طريق التربية الإسلامية في تحبير صيغ للصلاة على هذا النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه، ومن هؤلاء العارفين الشيخ « إبراهيم محمد أبو خليل » الذى خصص وردا لها أسماه «الكتر الثمين في الصلاة على سيد المرسلين» نقتطف منها بتوفيق الله:

١) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الطاهر المطهر صاحب الشفاعة للمذنبين، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الداعي إلى الحق بالحق ذي القوة المتين، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الصادق الأمين المعزز بالبراهين.

٢) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي صاحب جوامع الكلم من تفجرت من قلبه علوم الأولين والآخرين.

٣) اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد أفضل خلق الله رسول الله الهادي إلى الرشد والدين.

٤) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي من أطاعه فقد أطاع الله وفاز باليقين.

٥) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد واجعلنا معه من الصادقين العاملين المخلصين.

٦) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد من جاهد في الله حق جهاده وقطع دابر المشركين.

٧) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد من عمّت رسالته أهل السموات وأهل الأرضين.

٨) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر مبيد الكافرين.

٩) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذى جاوز السبع الطباق وتأخر جبريل الأمين.

١٠) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد من ظللته الغمامة في القيظ الشديد والصخر يلين.

١١) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد كل من صلى عليه مجتهداً في مرضاته كتب من السابقين.

١٢) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد من تورمت قدماه من طول قيامه لله وتقلبه في الساجدين.

١٣) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد الذي منه البركات والنفحات والأنوار لِلْمُتَبَتِّلِينَ.

١٤) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد أفضل من عبد الله في السر والجهر قدوة للمتقين.

وهكذا كتب شيخنا سبعين صيغة من صيغ الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ تبارك الله وتعالى عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تراها كلها متكاملة وجميعها لها أصل في القرآن الكريم والحديث الشريف.

ولقد ألزم بها الشيخ الجليل « إبراهيم محمد أبو خليل » نفسه ﷺ وأرضاه وألزم بها مريديه يعقدون لها وقتاً في مجلس الذكر الذي يبدأونه بإحصاء أسماء الله الحسنى التي نظمها لهم في قصيدة عصماء، يرددونها بنغم جميل أخاذ، وهى أسماء الله الحسنى التي تتفوق أنوارها على الأضواء المنبعثة من مصابيح الكهرباء، ومع ذلك فإنها تبعث في القلوب السكينة والطمأنينة، وأرقى معاني الحب والسلام.

وله الحق كل الحق شيخنا الجليل عندما سمى صيغ الصلاة والسلام التي جعلها مفتتح مجالس الذكر «الكنز الثمين » فهى فعلاً كنز ثمين به غَنَاءُ الروح وثراء القلب،

ونور الوجدان، وإصلاح النفس، والصلة بحبيب الله، وصفى الله، ونبى الله، ورسول الله أشرف الخلق سيدنا «محمد» ﷺ تبارك الله وتعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ما ورد ماءها العذب شقي إلا أسعده الله، ولا مريض إلا شفاه الله، ولا مكروب إلا فرج الله كربه، ولا محزون إلا فرحه الله، ولا مكتئب إلا سره الله، ولا محروم إلا أطعمه الله، ولا مقطوع إلا وصله الله، ولا سقيم إلا أذهب الله سقمه، ولا عيّ إلا أنطقه الله بالحكمة وفصل الخطاب.

وقد أكرمني الله بها ﷺ. فذقت حلاوتها، وتعاطيت بركتها، وآنست وحشتي، وجلت حزني، ووصلت قطيعتي وكَثّرَتْ قلتي، وعطرت آفاقي، وغسلت باطني، وأضاءت ظاهري، وبلغتني من الآمال أغلى مرادي، وملأت باليقين فؤادي، وعالجت وجدي، وروت في القلب أشواقي، ونالت بها روحي ما تمنته طويلاً، وسعد بها عمري، وتطهر بها وجداني، وصفت بها نفسي، وجمعتني مع أصفى الأحبة، وذروة الخليقة وأشرف الإنسانية، وقمة البشرية، فتعاطيت جميل النفحات وسنى الاتحافات، وكريم الأعطيات، فصليت على الحبيب العالي القدر، العظيم الشأن المحب المحبوب، نور العقول وبهجة القلوب، فيه سررت، وبه فرحت، وبرحمته غنمت فاغتنيت، ومن حديثه ارتويت، وبحبه هيمت، فزاد هيامي، فطال سكوتي وقل كلامي. فلم أصبر وتكلمت وبحت بسري وما ندمت، ولكني ثبتُّ على حبه فهو أشرف الخلق سيدنا محمد ﷺ الذي صدق من سماه « رءوف رحيم » فرددت على الفور:

﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولقد كانت رسالة « الكتر الثمين » سبب هذه النفحة المباركة جزا الله شيخنا «إبراهيم محمد أبو خليل» عنا خير الجزاء وأوفاه. آمين وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه أجمعين.

إن الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ مفتاح السعادة، وينبوع للرحمة، وجلاء للقلوب، وضياء للأبصار، وسبب للشفاعة، وذهاب للحزن، وطريق للبهجة، وسبيل للسرور، وسلم للوصول وتحقيق للمأمول، ورجاء للغفران، ونعيم للأرواح، وشفاء للصدور، وصلاح للنفوس، وعلاج للقلق، وسكينة للأفئدة، وقوة لليقين، وزيادة للإيمان، ونور للقبور، ومصباح للظلام، وإنقاذ من الفتن، وعصمة من الخطايا، وطهارة من الذنوب والآثام وفعلا هي الكتر الثمين كما سماها شيخنا « إبراهيم أبو خليل » ﷺ وأرضاه.

ولقد عرف ذلك رجال الله وأولياؤه الصالحون من قبل ما تنطوي عليه الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ فطرقوا باب الله ﷻ بها فوصلوا و اغتنموا وذاقوا فعرفوا وربوا على ذلك تلاميذهم فأفلحوا ورشدوا وكانوا من الفائزين.

  

كلمة ختامية

إن الوسواس القهري قد شغل بال كثير من علماء النفس وعلماء الطب النفسي وذلك بسبب أعراضه السيئة التي تشوه شخصية المريض، وتضر حياته، وتنتقل به إلى أمراض نفسية أخرى. مثل الاكتئاب، والعصاب، والشعور بالإحباط ومن الممكن- لو استمرت مع المريض- أن تودي بحياته وحياة آخرين معه إذا بلغت المضاعفات منتهاها دون علاج.

ولقد دفعني لكتابة هذه السطور القليلة عبارة قرأتها في كتاب قيم من تأليف الأستاذ الدكتور « وائل أبو هندي » بعنوان « الوسواس القهري من منظور عربي إسلامي» وهو من إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بإمارة الكويت- في سلسله عالم المعرفة برقم ٢٩٣ ص٢٢.

الوسواس القهري: من أهم ما يميز الأفكار فيه أنها مناقضة لطبيعة الشخص، تنفره وتزعجه وترعبه ويحس تجاهها بالقهر، ولا تكفي الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم للخلاص منها ص٢٣.

وقد وردت هذه العبارة تحت بند ثالث عند تقسيمه الوسواس لثلاثة أنواع وأرجو سيادته أن يسمح لي بمخالفته في الرأي- وأقرر بكل تأكيد أن الاستعاذة بالله ﷻ تكفي تماما لوقاية الشخص المؤمن من أضرار الوسواس بكل أنواعه. بل ومن كل الأمراض على اختلاف أنواعها سواء كانت أمراضاً بدنية أو نفسية أو روحية.

لكني مقتنع بأن الاستعاذة بالله عبارة عن موقف يتخذه الشخص وله أركانه وشروطه:

الركن الأول: الإيمان الراسخ الذي لا يخالطه ريب أو شك فالمريض هنا يؤمن بماناً بأن الله ﷻ هو وحده الذي يشفيه.

الركن الثاني: إغلاقه باب قلبه وباب عقله إغلاقاً محكماً في وجه الشيطان لا يتسرب إليه.

الركن الثالث: المواظبة على الصلاة يصليها خمساً في مواقيتها وان تمكن من أدائها في جماعة يكون أفضل.

أما الشروط فهي كما يأتي:

الشرط الأول: أن يقنع تماماً بأن حالة الوسواس التي أصابته هي حالة عارضة تذهب عنه في أقرب وقت، لأن الأصل في الإنسان الصحة وأما المرض فهو عارض يزول.

الشرط الثاني: أن يقنع بأن الله ﷻ جعل لكل داء دواء من جنسه فما يصيب الجسم فداوءه من الأرض وما أصاب الروح فدواءه من السماء.

الشرط الثالث: الصبر وعدم تعجل الشفاء وعدم الإمعان في التضرر من المرض، وانتظار فرج الله على أمل ورجاء وأما سندي في ذلك: فإن الله ﷻ أمر المذنبين بالاستغفار. والاستغفار له ركنان:

الركن الأول: قولي يقول استغفر الله العظيم. **والركن الثاني:** عملي يتم بإقلاعه تماماً عن مقارفة الذنوب، وألا يغشى الأماكن التي كان يعصى الله فيها، وأصحاب السوء الذين كانوا يحضونه على ارتكابها أو يشاركونه في ذلك.

وكذلك تكون الاستعاذة بالله، ليست قولاً باللسان فقط وإنما تتمثل في أعمال ومواقف يتخذها المؤمن فتنهض أدلة قوية على صدقه في اللجوء إلى الله ﷻ والاستعاذة به. فلا يستعين بشيطان على شيطان، وإنما يستعين بالله القوي المتين. السميع العليم على الشيطان الرجيم. امتثالا لأمر الله ﷻ الذى قال:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٠-٢٠٢].

ما قصدته بأن الاستعاذة بالله تجدي في حالة الوسواس القهري فإن هذه الاستعاذة إذا وقعت من المؤمن على الحالة التي أشرت إليها فإنه مما لا شك تنفع صاحبها سواء كان المرض جسمانياً أو نفسياً فإن سندي في ذلك دعاء مأثور يقول:

« اللهم إني أعوذ بك من عضال الداء، وشماتة الأعداء وخيبة الرجاء، وأعوذ بك من السلب بعد العطاء ».

وما نقله لنا السلف الصالح من سنة سيدنا رسول الله ﷺ من أنه كان يتعوذ من الحميّ.

ومما سبق تتبين وجهة نظري في أن الشفاء بالقرآن الكريم وبالذكر أمر محقق وثابت بيقين، ولكنه مرهن بالعقيدة الراسخة في الله ﷻ، وفي القرآن الكريم، وفي سيدنا رسول الله ﷺ. وفي أن الشفاء من عند الله ﷻ لأنه أعلم بالإنسان. خلقه وتكوينه وبأسباب صحته وبأسباب مرضه، وبأسباب شفائه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

وعقيدتي أن الطبيب النفسي لو تأكد له ذلك، وكانت عند الطبيب عقيدة قوية راسخة في الله ﷻ وفي القرآن الكريم وفي سيدنا رسول الله ﷺ، وفي السنة المطهرة واستطاع أن ينقل هذا اليقين إلى مريضه ثم وضع له برنامجاً من القرآن والسنة فإنه بالتأكيد سيخلصه من هذا المرض مهما كانت سطوة هذا المرض:

يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[الإسراء: ٨٢].

وإني أَسْمَحُ لنفسي أن أقول إن علم النفس من أصل عربي مسلم ولد من رحم فكر عربي مسلم، وتلقفه علماء الغرب وألبسوه ثوباً غربياً وادعوا أنهم الذي وضعوا قوانينه، وقواعده.

ولكن مما أسعدنا نحن الُمتلقّين المتعلمين أن موكباً مهيباً من العلماء الراسخين في العلم تتقدمه طليعة من أساتذتنا الأجلاء. الدكتور «محمد عثمان نجاتي»، والدكتور «توفيق الطويل»، والدكتور «عبد اللطيف محمد خليفة»، ومعهم هذا الأستاذ الدكتور « وائل هندي» وغيرهم من أولى العلم تعرفوا على هذا العلم، وتعرفوا على قسمات وجهه فأيقنوا أنه عربي مسلم فكأنهم قالوا بصوت واحد ﴿ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا ﴾ [يوسف: ٦٥].

وإني أتشرف بأن أدعو المسلمين في جميع أنحاء العالم الذين أصابهم الاكتئاب، وضربهم الشعور بالإحباط، وزلزلهم بركان الغزو الصهيوني الأمريكي والأمريكي الصهيوني، فانكفأوا على أنفسهم، وسيطر عليهم الشعور بالدونية، وألهبوا ذواتهم جلداً وتأنيباً، أدعوهم جميعاً إلى قراءة القرآن الكريم، قراءة من يطلب الشفاء منه، ويرفع يديه لله رب العالمين، خاشعاً متبتّلاً طالباً منه الشفاء من هذه الأمراض، وعليهم أن يستلهموا القرآن الكريم، والحديث الشريف ما يخرجون به من هذا التّنين الذي حطم روح المقاومة فيهم، وأن يطلبوا من الله العلى القدير أن يلهمهم البر والتقوى، لعمل ما يرضى الله. وأن يجمعهم على كتابه وسنة رسوله ﷺ، وأن يؤلف بين قلوبهم، وأن يوفقهم لطاعته ونصرة كلمته، وإعلاء شريعته.

فهو الذي قال:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ﴾[الطلاق: ٢-٣].

وهو القائل:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد:٧]

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴾ [آل عمران:٨-٩].

الحمد لله رب العالمين فرغت من كتابة هذا الكتاب الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم الجمعة ٢٨ من شهر الله المحرم الموافق ١٩/٣/٢٠٠٤ .
وصلى اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم أجمعين

عبد البديع عبد السميع كفافى

الزهراء- مصر القديمة
٧شارع حسن فريد
☎: ٣١٦٣١٩١

المراجع

أولا القرآن الكريم وتفسير ابن كثير

ثانيا صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن ابن ماجة وسنن الترمذي

ثالثا

١ التربية الإسلامية د/ إلياجن

٢ فقه السنة للشيخ السيد سابق

٣ مفتاح الفلاح للشيخ ابن عطاء الله السكندري

٤ القرآن الكريم وعلم النفس للدكتور محمد عثمان نجاتي

٥ الحديث الشريف وعلم النفس للدكتور محمد عثمان نجاتي

٦ دفع وسواس الشيطان بسنة خير الأنام لابن قتيبة

٧ بردة الإمام البوصيري

٨ فتوحات الشيخ إبراهيم أبو خليل

٩ الوسواس القهري من منظور إسلامي للأستاذ الدكتور أحمد هندي الإصدار رقم ٢٩٣ يونيه ٢٠٠٣ من سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت

١٠ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان للشيخ فؤاد عبد الباقي

وغير ذلك من المراجع مذكور في صلب صفحات الكتاب

فهرس